الثـــواب والعـــقاب

في سورة الحج

(دراســـة موضوعـــية)

الدكتور/ عبـــد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهيـــبي

قسم أصول الدين

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمـــة :

أهمية الموضوع:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين الذي بعثه رحمة للعالمين، ليهديهم إلى الصراط المستقيم الذي يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، ويحفظهم من طريق الشيطان الذي يأمرهم بالفحشاء والمنكر. وقد أنزل الله على رسوله الكتاب العظيم بلسان عربي مُبينٍ لكل خير، وناهٍ عن كل شر، وهو دستور المسلمين الذي يجب أن يسيروا عليه، ويطبقوه في شؤون حياتهم كما كان يفعل رسول الله ﷺ، ولنا فيه أسوة حسنة نقتدي به في أقواله وأفعاله وتقريراته، فهو النموذج القرآني البشري الذي يجب أن يقتدى به، ويؤخذ بقوله في كل شيء، فقد أرسله الله داعياً إلى عبادته، ومبشراً ونذيراً، فمن أجابه فثوابه الجنة، ومن أعرض عنه فعقابه النار، قال تعالى: ﴿ **قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين * فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم** ﴾ [الحج: ٤٩-٥١]. فقد دلت هذه الآية على أن الثواب والعقاب في القرآن، منهج رباني يثير في الإنسان داعي الخوف والرجاء، فيشجع على العمل الصالح ويحذر من المعاصي، وهذا المنهج يتناسب مع النفس البشرية التي خلقها الله للإنسان، وهوأعلم بما يصلح عباده، وقد رباهم على هذا المنهج في القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع :

قد وقع اختياري على بحث هذا الموضوع بعنوان "الثواب والعقاب في سورة الحج" للأسباب الآتية:

١- أهمية الثواب والعقاب في حياة الإنسان، وضبط سلوكه، وتشجيعه على فعل الخير، وتحذيره عن فعل الشر.

٢- أن الثواب والعقاب منهج رباني اختاره الله لتربية عباده به، لتتحقق السعادة لهم في الدنيا والآخرة، ولذا نجد أكثر الأوامر والنواهي الدينية في القرآن وفي الحديث كلها مرتبطة بالثواب والعقاب؛ لإثارة داعي الرجاء والخوف عند الإنسان لامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

٣- أن هذا المنهج العظيم الذي جاء به القرآن في الثواب والعقاب، يجب علينا أن نستفيد منه في تربية أولادنا وطلابنا، بل وفي جميع شؤون حياتنا حتى نحقق النجاح والسعادة.

٤- أهمية سورة الحج، حيث إنها جمعت بين أصول الدين وفروعه، وربطت ذلك بالثواب والعقاب بأساليب متنوعة، تثير الرغبة في الإيمان والعمل الصالح، وتُرهب من الكفر والمعاصي.

وسأفصل القول في هذا الموضوع في مبحثين وخاتمة :

الأول: اهتمام الإسلام بالثواب والعقاب.

الثاني: دراسة موضوعات الثواب والعقاب في سورة الحج.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

المبحث الاول

اهتمام الإسلام بالثواب والعقاب

الإنسان مخلوق عجيب فقد خلقه الله من مادة وروح، فهو محتاج إلى المادة من الأكل والشرب والجنس وغير ذلك لبناء جسمه وقوة عضلاته. كما أنه محتاج إلى الأمور الروحية لبناء روحه وتقويتها، فيحتاج إلى الإيمان بالله والقرآن والحديث، والتوجيه والوعظ والإرشاد، حتى تسمو روحه وتعلو، ويحدث له التوازن بين حاجات الجسم والروح. فالاهتمام بالجسم على حساب الروح فيه ضياع ودمار للإنسان، كما هو حاصل في الحضارات العلمانية في الشرق والغرب، التي تجاهلت الروح والإيمان والدين، فربت الإنسان على الماديات والشهوات، وأغرقته في ذلك، فصار الإنسان جسداً بلا روح، وأيضاً هناك تربيات تهتم بالروح وتهمل الجسد كالتربية الكهنوتية والرهبانية والصوفية المنحرفة، فهذه تهتم بالجانب الروحي في الإنسان، وتهمل رغباته الجسدية وتطلعاته المادية، فيعيش ضعيفاً في الحياة منعزلاً عن المجتمع.

والتربية الصحيحة المطلوبة هي التي يحصل بها التوازن بين حاجات الجسد والروح، فلا يطغى أحدهما على الآخر، فتتحقق فيها مطالب الجسد وطموحات الروح، فيكون الإنسان سوياً، وهذا هو المنهج الذي جاء به الإسلام وراعاه وأكد عليه[1]، فالإسلام يهتم بالغرائز الفطرية في النفس البشرية كما أشار إليها في قوله تعالى: **﴿ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها﴾** [الشمس: ٧]. فالنفس البشرية فيها غرائز متعارضة، ففيها الفجور والتقوى كما

---

(١) راجع: منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب: ١٩-٢٢.

أشارت إليه هذه الآية، ففي النفس البشرية الأنانية والبخل والحقد والكره والحسد والجبن والخوف، وهذه الغرائز تؤدي إلى الفجور، كما فيها العطاء والكرم والحب والغبطة والشجاعة والرجاء، وهذه الغرائز تؤدي إلى التقوى.

فالإسلام لا يهمل هذه الغرائز ويتركها على علاتها، بل يربيها التربية السوية، ويوجهها للخير، ويحقق التوازن بينها[1] فلا يطغى شيءٌ منها على الآخر، لأن ذلك الطغيان يؤدي إلى انحراف الإنسان وتعثره في الحياة، فالإسلام يوجه هذه الغرائز لخير الإنسان ويوجد التوازن بينهما، فالخوف غريزة أوجدها الله في الإنسان لحفظ كيانه وشخصيته وتربيته تربية صحيحة. فالإسلام وجه غريزة الخوف لما يحقق مصلحة الإنسان، فلا يخاف من كل شيء لأن هناك أموراً الخوف منها من باب الخيال فإنها لا تؤثر في حياته، فلو استسلم الإنسان للخوف من كل شيء في الحياة لتعثرت حياته، ولكن يوجه الإسلام الإنسان للخوف من الأمور الحقيقية، فيخاف من الله ومن عذابه وسخطه، ولذا جعل الإسلام الخوف من الله نوعاً من العبادة، فالمسلم القوي لا يخاف إلا من الله، فلا يخشى انقطاع رزقه ولا يخاف من إنسان لأنه لا يستطيع أن يفعل به شيئاً ما أراده الله، ولا يخاف من الموت فالموت بقضاء الله وقدره، فيعلق حاجاته دائماً بالله، ويتجلى هذا واضحاً في وصية الرسول ﷺ لابن عباس حينما كان رديفاً له يوماً فقال له: "ياغلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت

---

(١) المصدر السابق: ١٥٤، ١٥٥.

الأقلام وجفت الصحف"[1]. فهذا الحديث يربي في المؤمن أن يعلق رجاءه وسؤاله وجميع حاجاته بالله، وأنه لن يحدث له شيء لا يريده الله، ولا يستطيع أحد أن يمنع عنه نفعاً أراده الله، فكل شيء بقضاء الله وقدره، فهذه العقيدة تربي في المؤمن أن يرجو ما عند الله وألا يخاف إلا من الله، قال تعالى: ﴿ **فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين** ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقد ركز القرآن الكريم على هذين الأمرين: أمر الخوف وأمر الرجاء، وأوجد التوازن بينهما لأنهما للإنسان كجناحي الطائر، فلا يمكن أن يتوازن الطائر في الطيران إلا بهما، ولو مال أحد الجناحين لمال في طيرانه ثم سقط إلى الأرض. فكذلك الإنسان لا تتوازن حياته ولا تنضبط أفعاله إلا بهذين الأمرين، رجاء الثواب وخوف العقاب، لذا ركز القرآن عليهما وقرن بينهما في كثير من الآيات.

الثواب في الإسلام :

الثواب في اللغة: من الثوب، وهو الرجوع إلى ما كان عليه الشيء، ثاب إلى المكان إذا رجع. والثواب في الاصطلاح: المجازاة على الطاعة[2]. ويأتي الثواب في القرآن للمعاني الآتية:

١- **المجازاة على العمل الصالح:** قال تعالى: ﴿ **فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ [المائدة: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿**ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب** ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

---

(١) رواه الترمذي (٦٦٧/٤) كتاب صفة القيامة /٥٩برقم (٢٥١٦) واللفظ له، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في مسنده (٢٩٣/١).

(٢) راجع تهذيب اللغة للأزهري (١٥٢/١٥)، والمفردات في غريب القرآن (١١٢)، ولسان العرب لابن منظور (٢٣٦/١-٢٣٧)، والموسوعة الفقهية (٥٣/١٥).

٢- **المجازاة على العمل السيء**: وأكثر ما يستعمل الثواب في الخير، وقد يستعمل في الشر على سبيل المجاز، قال تعالى: ﴿ **هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير** ﴾ [المائدة: ٦٠]، ويستعمل في المكروه على سبيل الاستعارة قال تعالى:﴿ **فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم** ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

٣- **المكان** : الذي يثاب فيه، قال تعالى: ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس** ﴾ [البقرة: ١٢٥]، أي : مكاناً يرجعون إليه ويثابون فيه.

٤- **الثيب**: التي تثوب عن زوجها، أى : ترجع عنه. قال تعالى: ﴿ **ثيبات وأبكاراً** ﴾ [التحريم: ٥].

٥- **اللباس**: قال تعالى: ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ [المدثر: ٤]. وقد يكنى به عن طهارة النفس، فيقال: فلان طاهر الثياب ، إذا وصفوه بطهارة النفس والبراءة من العيب(١).

والثواب في منهج القرآن على الأعمال الصالحة يكون في الآخرة، وقد يعجله الله للإنسان في الدنيا لحكمة،كثواب صلة الرحم، قال الرسول ﷺ: "من أحب أن يبسط له في رزقه ،وينسأ له في أثره، فليصل رحمه"(٢). وشرع الله الثواب على العمل الدنيوي كما في نصوص القرآن وأحاديث الرسولﷺ، وسأتحدث عن منهج القرآن في الثواب كالآتي:

---

(١) راجع معجم ألفاظ القرآن الكريم- لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (١/١٨٤)، والمفردات للراغب الأصفهاني (١١٢).

(٢) رواه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ فتح (١٠/٤١٥)كتاب الأدب ، باب /١٢ ، ومسلم (٤/١٩٨٢) كتاب البر والصلة /٦ برقم ٢٥٥٧، وذكره النووي في رياض الصالحين ١٥٨، وقال: ينسأ له في أثره: أي يؤخر له في أجله وعمره.

أولاً: تفاوت الثواب :

الثواب على الأعمال الصالحة يتفاوت من حيث الوجوب والنفل، ومن حيث المشقة والزمان والمكان وتحقيق المصلحة.

١- **من حيث الوجوب والنفل:** فأداء العمل الذي أوجبه الله أكثر أجراً وأعظم من العمل الذي أمر به على سبيل الندب، وإن كان مساوياً لما أوجبه الله في الأداء. ومن أمثلة ذلك صلاة الفريضة أربع ركعات، أجرها أعظم من صلاة أربع ركعات نافلة أو أكثر؛ لأن هذا أمر أوجبه الله، يثاب المؤمن بفعله ويعاقب بتركه، على حين النافلة يثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها، وقل مثل هذا في الصدقة بألف ريال من الزكاة والصدقة النافلة بألف ريال أو أكثر، فأجر الزكاة أكثر من أجر الصدقة النافلة ، وكذا صوم شهر رمضان أكثر أجراً من صوم شهر شعبان[1]؛ لأن صوم رمضان واجب وصوم شعبان مندوب إليه، وكذا يقال في الحج الواجب والحج النافلة، وكذا العمل الدنيوى الذي تأخذ عليه أجراً بموجب عقد، أجر الوفاء به أعظم عند الله من العمل الذي تقوم بالتبرع به. فقيام الأستاذ بتدريس المقررات المكلف بها في وقت الدوام الرسمي في الجامعة أو المدرسة أعظم أجراً من التبرع بالتدريس في مكان آخر؛ لأن هذا مندوب إليه يثاب عليه إن فعله ولايعاقب عليه إن تركه، بينما التدريس في المدرسة بموجب عقد يثاب عليه إن فعله ويعاقب عليه إن تركه، لأنه قد أخل بالعقد والله قد أمر بالوفاء بالعقود في قوله تعالي: ﴿ **يأيها الذين آمنوا أفوا بالعقود** ﴾ [المائدة: ١]. وقال الرسول ﷺ: "ما تقرب إليّ عبدي بشيء

(١) راجع قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام (١/٣٠).

أحب إليّ مما افترضت عليه، ومايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه"[1].

٢- **من حيث المشقة:** والثواب يتفاوت بحسب المشقة التي تلحق بأداء العمل، فالمشقة غير مقصودة للشارع ولا يأمر بها، قال تعالى: ﴿ **لايكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولكن إذا عرضت أثناء أداء العمل، فالعمل الذي تعرض فيه أعظم أجراً عند الله من العمل الذي لا تعرض فيه. ومن أمثلة ذلك أداء فريضة الحج من مكان بعيد يترتب عليه مشقة وجهد أكثر من أدائها من مكان قريب، وكذا أداء الصلاة في مسجد بعيد؛ لأنه ورد في الحديث "من تطهر في بيته ثم مضى إلي بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة"[2]. والاغتسال من الجنابة في الشتاء وتحمل برودة الماء أكثر أجرا من الاغتسال في الصيف[3]، وكذا الخروج للصلاة في وقت الظهيرة في شدة الشمس، والمشي إلي المسجد أكثر أجراً من الخروج إليها في وقت الربيع حيث برودة الجو ولطفه مما يخفف حرارة الشمس ويلطفها.

٣- **من حيث الزمان:** ويتفاوت الثواب حسب الزمان؛ لأن الله تبارك وتعالى فضّل بعض الأزمان على بعض، فشهر رمضان أفضل من الأشهر الأخرى، فالعمل الصالح فيه كالصيام والصلاة والصدقة أكثر من أجر العمل في غيره من الأشهر، وكذا ليلة القدر العمل فيها بالقيام والصلاة والدعاء أفضل من العمل في غيرها من الليالي [4] ، قال تعالى: ﴿ **ليلة القدر خير من ألف**

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة (١١/٣٤٠) باب التواضع برقم ٦٥٠٢، ورواه الامام أحمد في مسنده عن عائشة (٦/٢٥٦).

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة (١/٤٦٢) باب ٥١/ برقم ٦٦٦.

(٣) راجع قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام (١/٣٦) والموسوعة الفقهية (١٥/٥٩).

(٤) راجع قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام (١/٣١).

شهر﴾ [القدر: ٣]، وكذا صيام يوم عاشوراء وعرفة وستة أيام من شوال، والقيام والدعاء في الثلث الأخير من الليل والعشر من ذي الحجة، العمل فيها أفضل من غيرها[١] .

٤- **من حيث المكان:** وفضل الله بعض الأماكن على بعض، فالصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد بيت المقدس أفضل من الصلاة في غيرها، قال الرسول ﷺ: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام "[٢]. وقال أيضاً: "الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة" [٣] . وكذا عرفات ومنى ومزدلفة والمشعر الحرام[٤]، فالعمل الصالح فيها والدعاء أكثر أجراً من العمل في غيرها.

٥- **من حيث المصلحة:** يتفاوت ثواب العمل عند الله بما يحققه من المصلحة والخير الكثير للناس وبما يدفعه من المفسدة، ويدل على هذا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سِئل : " أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا ؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا ؟ قال: حج مبرور" [٥].

فيلاحظ أن الرسول ﷺ جعل الإيمان أفضل مماذكر بعده من الأعمال، وبدأ به أولاً؛ لأن الإيمان بالله شريف في ذاته، ويدفع أقبح المفاسد، وهو الكفر

---

(١) راجع الموسوعة الفقهية (١٥/٦٠).

(٢) رواه البخاري في الفتح عن أبي هريرة (٣/٦٣) باب ٢٠ برقم ١١٩٠.

(٣) رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء، وقال: حسن، وأخرجه البزار في مسنده عنه، وقال: إسناده حسن، راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/٦٧)، وراجع المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح (١١٣) برقم ٢٢٣.

(٤) قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام (١/٣٦) والموسوعة الفقهية (١٥/٥٩).

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة (١/٧٧) كتاب الايمان برقم ٢٦، ومسلم (١/٨٨) كتاب الإيمان باب ٣٦/ برقم ٨٣، والترمذي (٤/١٨٥) باب ٢٢ برقم ١٦٥٨، و ذكره جامع الأصول (٩/٥٥٣) برقم ٧٢٩٨.

المترتب عليه حل القتل والمال والإذلال، والخلود في النار، ويجلب أرجح المصالح وهي إجراء أحكام الإسلام عليه من عصمة دمه وماله والعزة والكرامة والسعادة في الدنيا و الخلود في الجنة، وأنه ينبني عليه جميع تكاليف الدين فلا تقبل إلا بالإيمان.

ثم ذكر الرسول ﷺ الجهاد بعده في الفضل، فهو أدنى رتبة منه؛ لأن الجهاد من الوسائل، فليس مقصوداً بنفسه، وهو مكروه للنفس كما قال تعالى: ﴿**كتب عليكم القتال وهو كره لكم* وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فالجهاد تكرهه النفس وتعافه ويعافه الطبع؛ لأن فيه إزهاق النفس أو تعذيبها أو تعطيلها عن العمل، ومع هذا فرضه الله علينا وجعله خيراً لنا؛ لما يحققه من المصالح العاجلة كنصرة الإسلام والمسلمين وإعزاز الدين، ودفع الكافرين إلى الإسلام أو التخلص منهم بالقتل والأسر والإذلال، كما قال تعالى: ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ [الأنفال: ٣٩]، أي : تنتهي فتنه الكفر ويخلص الدين كله لله. وفيه مصالح آجلة وهي الأجر العظيم الذي ادخره الله في الآخرة للشهيد والحياة الأبدية والخلود في جنات النعيم، قال تعالى: ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين** ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]، وجعل الحج في الرتبة الثالثة من هذه الأعمال؛ لأن ما يحققه من المصالح ويدفعه من المفاسد أقل مما يحققه الإيمان والجهاد، والحج هو الركن الخامس من أركان الدين، وفضله عظيم لما فيه من جلب المنافع، كما قال تعالى: ﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا**

وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ﴾ [الحج:٢٨،٢٧]، فمن منافع الحج: ربح التجارة والتعارف بين الناس والتعاون والتعود على الخشونة، ومن منافعه الآجلة: مغفرة الذنوب [١]، كما جاء في الحديث : "من حج لله فلم يرفث و لم يفسق رجع كيوم ولدته أمه [٢]"، وقوله ﷺ: "والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" [٣].

وثواب صلاة الجماعة أعظم عند الله من ثواب صلاة الفذ[٤] ، كما جاء في الحديث: "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة"[٥]، فالرسول ﷺ فضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته منفرداً بسبع وعشرين درجة؛ لما في صلاة الجماعة من المصالح الكثيرة، فالصلاة في جماعة تقتضي الذهاب إلى المسجد، والذاهب إلى المسجد يحسب له بكل خطوة حسنة وتحط عنه سيئة، وفي انتظاره للصلاة في المسجد أجر عظيم. قال الرسول ﷺ: "لايزال العبد في صلاة ماكان في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف أويحدث" ..... الحديث [٦]. وصلاته في الجماعة

---

(١) قواعد الأحكام (١/٥٥،٥٤) .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣/٣٨٢) باب فضل الحج برقم ١٥٢١ واللفظ له ومسلم (٢/٩٨٣) برقم ١٣٥٠.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور .....) (٢/٩٨٣) باب فضل الحج برقم ١٣٤٩.

(٤) الموسوعة الفقهية (١٥/٦١) .

(٥) رواه البخاري عن عبدالله (٢/١٣) باب فضل صلاة الجماعة/ برقم ٦٤٥ ومسلم (١/٤٥٠) برقم ٦٥٠ وذكر ه جامع الأصول (٩/٤٠٥) برقم ٧٠٧١ والنووي في كتابه رياض الصالحين ٤٣٦ .

(٦) رواه البخاري عن أبي هريرة (٢/١٣١) كتاب الأذان برقم ٦٤٧ ومسلم (١/٤٥٩) باب فضل صلاة الجماعة واللفظ له برقم ٦٤٩ وراجع المنتجر الرابح ١٤١ برقم ٢٨٦ .

تساعده على الخشوع والتوجه إلى الله وتبعد عنه وساوس الشيطان التي تكثر على الإنسان في حالة الانفراد، وصلاة الجماعة تعود الإنسان على النظام والنشاط وفي صلاة الجماعة يتفقد أحوال جيرانه ويتعرف عليهم ويساعد من يحتاج منهم إلى المساعدة، فيحصل له الأجر الكثير، وكذا حضور جماعة المسجد يترتب عليه سماع المواعظ والنصائح والدروس التي تحصل في المسجد، وهذه الدروس تزيد في إيمانه وتقواه، وتعلمه ما يحتاج إليه من أمور الدين والدنيا وغير ذلك من المصالح والمنافع الكثيرة التي توجد في صلاة الجماعة ولا توجد في صلاة المنفرد.

وكذا ثواب الصدقة الجارية المتعدي نفعها إلى أناس كثيرين أفضل من الصدقة الخاصة المنقطعة، فرجل يتصدق على جماعة بصدقة دائمة يعمهم نفعها، كحفر بئر لهم، وإحضار بذور للزراعة، وتهيئة أرض لزراعتها وجعلهم يزرعونها، فيترتب عليها وجود ثمرة دائمة مستمرة متجددة على مدى سنوات، خير وأفضل عند الله من شراء طعام وتوزيعه عليهم يستفيدون منه لفترة زمنية محدودة ثم ينتهي .

ثانياً: ما يبطل الثواب :

من شروط الثواب على العمل الصالح أن يكون خالصاً لوجه الله يريد به العامل مرضاة الله وثوابه، فلا يريد به عرضاً من أعراض الدنيا، كالثناء عليه أو تحقيق مصلحة أو دفع مضرة، بل يكون خالصاً لله، يخشى به عذابه ويرجو به ثوابه. قال رسول الله ﷺ : "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن

كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ما هاجر إليه ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[1].

أما إذا كان العمل مقصوداً به تحقيق مصلحة من مصالح الدنيا، كرجل يصلي رياءً ليقال عنه: إنه متدين وأمين، أو يقصد من هذه الصلاة أن يحصل على وظيفة في مؤسسة أو حكومة، فعمله مردود عليه؛ لأنه لم يقصد به وجه الله وإنما قصد به تحصيل مصلحة ولا ثواب له عند الله، وكذا من عمل عملاً لله ويقصد معه الحصول على مصلحة دنيوية، فهذا العمل مردود على صاحبه ولا ثواب عليه؛ لأنه لم يكن خالصاً لله. قال رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" [2].

وكذا المن والأذى يبطل ثواب الصدقة قال تعالى: ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وكذا المعاصي تبطل ثواب الطاعات كما قال الرسول ﷺ: "من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " [3]. وكذا الإشراك بالله يبطل صحة العمل وثوابه. قال تعالى: ﴿**لئن أشركت ليحبطن عملُك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ [الزمر: ٦٥]. فلا يثاب الإنسان

---

(١) رواه البخاري عن عمر بن الخطاب (فتح ٩/١) كتاب بدء الوحى برقم ١، ومسلم (١٥١٥/٣) باب ٤٥ / إنما الأعمال بالنية برقم ١٩٠٧ وأبو داود (٢٦٢/٢) برقم ٢٢٠١.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة (٢٢٨٩/٤) باب ٥/ من أشرك في عمله غير الله برقم ٢٩٨٥.

(٣) رواه مسلم عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي (١٧٥١/٤) كتاب السلام باب/ ٣٥ برقم ٢٢٣٠ وراجع جامع الأصول (٦٥/٥) برقم ٣٠٧٦.

على العمل الصالح الثواب الكامل إلا إذا كان خالصاً لله. قال تعالى: ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ [البينة: ٥].

وكما يشترط في الثواب على العمل خلوصه لله كما تقدم، يشترط أيضاً كون العمل موافقاً لهدي رسول الله ﷺ. قال الرسول ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه ، وفي رواية: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا ـ فهو رد"[(١)]. فهذان شرطان لقبول العمل الصالح عند الله والثواب عليه، قال تعالى: ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [البقرة:١١٢]. وإذا خلا العمل من هذين الشرطين أو أحدهما فلا ثواب عليه [(٢)]، قال تعالى: ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا** ﴾ [الفرقان:٢٣]. وينبغي للمؤمن أن يصطحب النية الصالحة في كل عمل يعمله من أعمال الدنيا، من كسب وإحسان وتعاون بين الناس، حتى يثاب عليه عند الله، وتنقلب عاداته عبادات[(٣)]، ولاتتأثر نفسه حينما يتنكر الناس لإحسانه وتعاونه معهم ؛ لأنه ما فعل هذا إلا لوجه الله رجاء ثوابه.

ثالثاً: ثواب الأعمال الدنيويـــــة:

فيما سبق بيَّنا ثواب الإسلام للأعمال الصالحة في الآخرة، وهنا نبين اهتمامه بالثواب على الأعمال الدنيوية؛ لأن أعمال الدنيا ضرورية للإنسان لا يستغني عنها، ولا تتقدم حياته إلا بها، ولا تقوم المجتمعات إلا عليها، ومجالاتها

---

(١) رواه البخاري موصولاً عن عائشة (١٣٤٣/٣) في الصلح برقم ١٧١٨ ومسلم (١٣٤٣/٣) في الأقضية برقم ١٧١٨ وأبو داود (٢٠٠/٤) باب لزوم السنة برقم ٤٦٠٦ وابن ماجه في (المقدمة/٧) برقم ١٤ و ذكره جامع الأصول (٢٨٩/١) برقم ٧٥ ورواه أبو داود الطيالسي (٤٠/١) برقم ١٠٦.

(٢) بهجة قلوب الأبرار للشيخ السعدي (٦، ٧).

(٣) المصدر السابق (١١).

عديدة في الإدارة والاقتصاد والصناعة والزراعة وغير ذلك مما يحتاج إليه البشر من المهن والصناعات والإنتاج. وهذه الأعمال لا يقوم بها الناس للناس إلا بالثواب، أي الجزاء عليها في الدنيا، وقد تعارف الناس على هذا الجزاء أن يكون على شكل أجور ورواتب وبدلات ومكافآت للعاملين، وحوافز وهدايا للتشجيع وكلمات الشكر والعرفان بالجميل للمخلصين، وضمانات اجتماعية للعاملين عند وصولهم سن الستين أو عجزهم، كما هو معروف بمعاشات التقاعد.

فهذه الأمور كلها تدخل تحت معنى الثواب في الدنيا، ولم يرد لها في الشرع تفاصيل مطولة، وإنما جاء تأصيلها والتدليل عليها في الكتاب والسنة، ثم بعد ذلك اجتهد العلماء وأصحاب الرأي في تفصيلها، ووضع أنظمة خاصة بها، وقد تطورت هذه الأنظمة في عصرنا الحاضر، وصدرت فيها مؤلفات كثيرة تحفظ حقوق العاملين، وتبين ما عليهم من الواجبات، وتحدد علاقتهم بصاحب العمل، كما هو معروف في مكاتب العمل والعمال التي تشرف على تطبيق هذه الأنظمة، ويمكننا هنا ذكر الأدلة التأصيلية الشرعية لهذه الحقوق والواجبات من الكتاب والسنة كالآتي:

١- **مشروعية الأجور والرواتب:** قال رسول الله ﷺ : " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه"[(١)]. وقال أيضاً: "قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطي بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل

---

(١) رواه ابن ماجه عن عبدالله بن عمر (٨١٧/٢) كتاب الرهون برقم ٢٤٤٣ وقال في الزوائد: أصله في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي هريرة لكن إسناد المصنف ضعيف. وهب بن يزيد ، وعبد الرحمن ابن زيد ضعيفان .

استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره"[1]. فالحديثان فيهما تأكيد الأمر بإعطاء الأجير أجره، وفي الحديث الثاني وعيد شديد بخصومة الله يوم القيامة لمن أكل أجر الأجير، ومن كان الله خصمه فهو مخصوم.

وقد دل الحديثان على مشروعية تقديم الإنسان خدمة لشخص آخر مقابل أجرة، والخدمات التي يقدمها الناس بعضهم لبعض كثيرة ومتنوعة، كالحدادة والنجارة والسباكة وإصلاح الأجهزة والميكانيكا والكتابة والقراءة والتعليم وغير ذلك من المهن الكثيرة.

والأجرة تكون على العمل أو الزمن. فتكون على العمل كأن يستأجر شخص للقيام بعمل محدد، ويقدر له أجر على قدر ذلك العمل، وهذا يسمى الأجير العام. والأجير الخاص هو الذي يُعطَى أجراً على الزمن نظير أن يقوم بعمل غير محدد، وأجره إنما يكون محدداً بالزمن الذي يعمله، كالموظفين يستوفون أجورهم آخر الشهر. وقد يجتمع الأجيران في شخص واحد كالمؤسسات التي تقوم بأعمال محددة نظير أجر محدد، فترسل عمالها ليقوموا بهذه الأعمال وأجرهم محدد بالزمن[2].

ومن الأعمال التي فرض الله لها الأجرة، القيام بجمع الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، قال تعالى: ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها** ﴾ [التوبة: ٦٠]، فنلاحظ أن الآية جعلت نصيباً من الزكاة للعاملين على جمعها من الناس، وحفظها، والقيام بتوزيعها على من يستحقها، والإشراف على كل ما يتعلق بها، فهؤلاء يعطون من الزكاة على سبيل الأجر لا الصدقة مقابل عملهم، فهذه الآية دليل على مشروعية أخذ الأجرة على عمل الزكاة وتوزيعها.

---

(١) رواه البخاري (فتح ٤/ ٤٤٧) كتاب الإجارة باب إثم من منع أجر الأجير عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في المجتمع الإسلامي ، للشيخ أبي زهرة (٥٨).

وعقد العمل من العقود التي أمر الله بالوفاء بها في قوله: ﴿ **ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾ [المائدة: ١]، وقد اشترط الفقهاء فيه ثلاثة شروط: أولها تحديد جهة العمل التي يعمل فيها الموظف من مؤسسات الدولة، وثانيها: تحديد طبيعة العمل، وثالثها: العلم بحقوق العمل ورسومه المالية بما تنتفي به الجهالة[١].

وتحديد الأجور والرواتب يخضع للجهات المختصة في الدولة ولما تعارف عليه الناس، ويشترط في العمل أن يكون مباحاً، فيحرم الأجر على الزنا وصناعة الخمر، وإذا قام العامل بعمل لم يحدد أجره فله أجر المثل[٢]، كالخياط والسباك والنجار.

٢- **اهتمام الإسلام بالحوافز التشجيعية على العمل:** فالأجور و الرواتب ومايتعلق بها من بدلات ومكافآت هى من الحوافز التي تحفز الموظفين والعمال على العمل وتشجعهم على النشاط فيه والاهتمام به كما وكيفاً، وقد راعى الإسلام أن تكون متكافئة مع قدرات الموظفين وكفاءتهم، وأن تقسم عليهم بالعدل، فيقدم الأكفأ فالأكفأ في زيادة الحوافز المالية كما قال تعالى: ﴿ **ولكل درجاتٌ مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون** ﴾ [الأحقاف: ١٩]، وقال: ﴿ **إن الله لايضيع أجر المحسنين** ﴾ [التوبة: ١٢٠]. ويمكن تلخيص هذه الحوافز في النقاط الآتية[٣]:

أ- **مكافأة المحسن في عمله:** فإن لها أثراً في نفسه تدفعه إلى الاهتمام بالعمل وكثرة الإنتاج، وتقديره لصاحب العمل الذي قدر جهده وفرق بينه وبين من تكاسل في عمله، قال رسول الله ﷺ: "ومن صنع إليكم

---

(١) راجع هذه الشروط بالتفصيل في: الأحكام السلطانية للماوردي (٢٠٩).

(٢) زاد المستقنع في اختصار المقنع (٤٩).

(٣) راجع تفاصيلها في : الفكر الإداري الإسلامي د. حمدي أمين عبدالهادي(١٩٣-١٩٦).

معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه" [1].

وهذه المكافأة تشمل المكافأة المالية، والمعنوية كخطابات الشكر والكلمات التشجيعية للموظفين، وينبغي أن يسود بين رئيس العمل والموظفين عبارات التكريم والاحترام والشكر المتبادل، وقد حثنا الرسول ﷺ على ذلك، وجعل شكر الناس من شكر الله، فقال: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله "[2] .

ب- **تشجيع العاملين على التقدم باقتراحاتهم:** وهذا يساعد في تطوير العمل وتحقيق ما يحتاجونه من الحوافز المالية التي تزيد في عطائهم وحرصهم؛ لأنها مصلحة متبادلة بينهم وبين صاحب العمل، وقد أمر الله بالتشاور، فقال تعالى: ﴿ **وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فيجب أن تكون قرارات تطوير العمل نابعة من الموظفين والعمال، ويكون التشاور والتناصح دائراً بينهم وبين القيادة، " فالدين النصيحة"[3] كما قال رسول الله ﷺ.

---

(١) هذا جزء من حديث رواه أبو داود في سننه (١٢٨/٢) كتاب الزكاة باب عطية من سأل بالله ، والنسائي (٦١/٥)، والإمام أحمد في مسنده (١٢٧/٢) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما.

(٢) رواه أبو داود في سننه ٤/ ٢٥٥كتاب الأدب باب شكر المعروف، والترمذي (٣٣٩/٤) كتاب البر والصلة وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٨/٢) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٣) رواه مسلم عن تميم الداري (٧٤/١) باب الدين النصيحة برقم ٥٥ وأبو داود (٢٨٦/٤) برقم ٤٩٤٤ ورواه الترمذي عن أبي هريرة (٣٢٤/٤) برقم ١٩٢٦ وقال: حديث حسن صحيح ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣٩٥/٣) برقم ١٦.

جـ-**الحوافز الترفيهية:** وتتمثل في تحقيق الرفاهية للعمال ووسائل الراحة، كالإجازات القصيرة والطويلة التي تحقق لهم الراحة والاستجمام حتى ينشطوا ويقبلوا على العمل بجد واجتهاد. عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال لي رسول الله ﷺ: "ياعبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يا رسول الله. قال: فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم؛ فإن لجسدك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً وإن لزورك عليك حقاً" ... الحديث[1].

د- **الاهتمام بتأمين فرص العمل المناسبة للعاملين:** ويدل على هذا حديث أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ يسأله، فقال له: "اشتر بأحدهما (درهم) طعاماً فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوماً فأتني به ففعل، فأخذه رسول الله فشد فيه عوداً بيده وقال: اذهب فاحتطب ولا أراك خمسة عشر يوماً، فجعل يحتطب ويبيع. فجاء وقد أصاب عشرة دراهم. فقال: اشتر ببعضها طعاماً وببعضها ثوباً" ... الحديث[2].

هـ- **التأمين الاجتماعي لأسر العاملين:** اهتم الإسلام بهذا تشجيعاً للعامل على النشاط في العمل والعناية به، وذلك بتأمين مستقبله بعد أن يعجز، أو يصل إلى سن الشيخوخة، أو يموت، فلا يضيع أولاده. قال الرسول ﷺ: "من ترك مالاً فلأهله – فلورثته – ومن ترك ديناً أو ضياعاً، فإليَّ

---

(١) رواه البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص (فتح ٤/ ٢١٨) باب حق المسلم في الصوم برقم ١٩٧٥ ومسلم (٨١٢/٢) برقم ١١٥٩ وهو جزء من حديث طويل واللفظ للبخاري.

(٢) رواه أبو داود (١٢٠/٢) باب ما يجوز فيه المسألة برقم ١٦٤١ وابن ماجه (٧٤٠/٢) باب بيع المزايدة برقم ٢١٩٨ واللفظ له. عن أنس بن مالك.

وعليَّ" ..... الحديث[1]، فبهذا يقرر الإسلام واجب الدولة في توفير التأمينات الاجتماعية لمواطنيها تحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي الإسلامي.

٣- **تناسب الثواب مع الكفاءة:** ويراعي الإسلام في الثواب أن يتناسب مع الكفاءة في العمل؛ لأن قدرات الناس وملكاتهم تختلف، فمنهم من يصلح لرئاسة العمل ومنهم من يبرع في فن من فنون الصناعة أوالزراعة ويتفوق فيه، ومنهم من هو محدود القدرات فهو مجرد عامل يقوم بأدنى عمل. وقد أشار القرآن إلى هذا بقوله: ﴿ **هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم** ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، فهذه الآية دلت على أن الله رفع بعض الناس على بعض درجات في الفهم والعلم والأخلاق والمحاسن والمساوئ والرزق[2]، فيترتب على اختلاف درجاتهم اختلافهم في الثواب والأجر على حسب قدراتهم. قال تعالى: ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا** ﴾ [الزخرف: ٣٢]. وقد أشار الله إلى الكفاءة في العمل في قصة استئجار شعيب لموسى عليهما السلام لرعي الغنم، بقول ابنة شعيب لأبيها: ﴿ **إن خير من استأجرت القوي الأمين** ﴾ [القصص: ٢٦]، فابنة شعيب لاحظت في موسى عليه السلام القوة والأمانة، فطلبت أن يستأجره[3]. ففي هذا دليل على مراعاة الكفاءة في العمل ومناسبة الشخص له، وهذا من

---

(١) رواه البخاري عن جابر بن عبدالله وأبي هريرة كتاب الاستقراض باب الصلاة علي من ترك ديناً ، فتح (٥/٦٠) برقم ٢٣٩٩ ومسلم (٢/١٢٧٣) برقم ١٦١٩ وراجع جامع الأصول (٤/٤٦٦) برقم ٢٥٥٣. والضياع: الأولاد الصغار .

(٢) راجع تفسير ابن كثير (٣/٣٨٤).

(٣) المصدر السابق (٦/٢٣٠).

الأمور التي تهتم بها أنظمة العمل والعمال وترتكز عليها وتفرق بين الناس بحسبها، وقد راعاها الشارع قديماً ولفت الأنظار إليها.

٤- **العلاقة بين العامل وصاحب العمل:** والإسلام يهتم بالعلاقة بين العامل وصاحب العمل؛ لأن لها أثراً في الثواب، فيوصي العامل بأن يكون أميناً فيما أؤتمن عليه جاداً في عمله موفياً به، ويوصي صاحب العمل بأن يكون شفيقاً على العامل رحيماً به لا يكلفه ما لا يستطيع، ويراعي وقت راحته ويطعمه ويلبسه مما يلبس. قال رسول الله ﷺ: "إخوانكم خَوَلُكُم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولاتكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم"[(١)]، وقال تعالى في استئجار شعيب لموسى عليهما السلام: ﴿ **قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك، وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين** ﴾ [القصص: ٢٧] ويتعامل معه بالخلق الحسن على أن يقوم كل واحد منهما بما عليه من الواجبات، لتنشأ بينهما مودة ورحمة وتستديم العلاقة بينهما حتى بعد انتهاء العمل، بخلاف ما يجري في النظام الرأسمالي من الصراعات[(٢)] بين العمال وأصحاب العمل، وتظاهر العمال ضد أصحاب العمل والتشهير بهم لأن أصحاب العمل يستغلون العامل فيطلبون منه العمل الكثير نظير الأجر القليل، وأن العلاقة بينهم مبنية على المصلحة فتحصل مثل هذه الصراعات التي أدت إلى

---

(١) رواه البخاري كتاب العتق (٥/١٧٣) باب العبيد خولكم برقم ٢٥٤٥ وراجع جامع الأصول (٨/٤٩) برقم ٥٨٨٨ عن أبي ذر رضي الله عنه. والخول : حشم الرجل وأتباعه واحدهم خائل ويقع للعبد والأمة. راجع النهاية لابن الأثير (٢/٨٨).

(٢) النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع (٥٧٢).

ثورة العمال على النظام مما أدى إلى قيام الشيوعية في روسيا التي قامت من أجل حماية حقوق العمال والعناية بها، ثم تحولت إلى طبقة برجوازية ممقوته تستذل الناس وتضطهدهم وتصادر ممتلكاتهم، فتحول الناس من شيطان الرأسمالية إلى شيطان الشيوعية الأشد منه. وبهذا يتبين عظمة الإسلام الذي راعى حقوق الطرفين وحافظ عليها وأوصاهما بحسن الخلق، قال تعالى: **﴿ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾** [المطففين: ١-٦]، ففي هذه الآية وعيد شديد لمن يستوفي حقه كاملاً من العامل أو غيره، وإذا أراد أن يعطيه حقه بخسه وأنقصه أو ماطله، وتذكيره باليوم الآخر الذي سيحاسبه الله فيه على ظلمه ويعاقبه عليه. فنلاحظ أن الإسلام يربط بين الدنيا والآخرة، ويربي في الإنسان الخوف من الله، فإن ضاعت حقوق الناس في الدنيا فلا تضيع عند الله في الآخرة.

٥- **الحكمة من الثواب على العمل الدنيوي:** الأعمال الدنيوية ضرورية للإنسان لتلبية حاجاته من المأكل والملبس والمسكن ولا يمكن الاستغناء عنها لتتحقق خدمة الناس بعضهم لبعض، كما قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم[1]

ولا يمكن أن تقوم المجتمعات الإنسانية وتتطور وترتقي إلا بوجود الأعمال المتنوعة، ووجود الأيدي العامله الفنية المتخصصة لتغطية حاجات المجتمع الضرورية والكمالية، وهذه الأعمال لا يمكن أن توجد وتتطور إلا بوجود الثواب المتمثل في الرواتب والأجور والحوافز المادية والمعنوية.

---

(١) من بحر البسيط مجهول القائل. راجع معجم حكمة العرب لأمل شلق.

والحكمة من ذلك الثواب إحياء سوق العمل وتشجيع العاملين ودفعهم إلى الجد والنشاط وكثرة الإنتاج ، مما يجلب المصلحة للناس والمجتمعات ، ويخدم الصالح العام، ويدفع المفسدة التي تتعطل بها المصالح وتكثر البطالة والجريمة.

ويؤكد الإسلام على العامل أن يتحلى بالصدق والأمانة والنية الصالحة ومراقبة الله في أداء عمله حتى يحصل على الثواب الأخروي بجانب الثواب الدنيوي. فهذان الأجران يدفعان العامل إلى الإخلاص والتفاني في العمل فتكون الحوافز على العمل في الإسلام أكثر فاعلية في دفع العامل إلى الجد والنشاط والإنتاج، بينما العامل في الأنظمة الرأسمالية وغيرها التي تركز على الربح والخسارة لايرجو إلا ثواب الدنيا ولا يراقب إلا صاحب العمل، فإذا غفل صاحب العمل أو ضعفت رقابته تكاسل العامل في عمله، فيترتب على هذا ضعف الإنتاج وربما خسارة المؤسسة التي يعمل فيها.

العقاب في الإسلام:

العقاب في اللغة: مأخوذ من عَقِب الشيء وهو آخره ، قال الرسول ﷺ: "ويل للأعقاب من النار"[1]، وهو مؤخر القدم.وخص العقب بالعذاب لأنه العضو الذي لم يغسل[2]، وأعقب الشيء : إذا تلاه وجاء بعده، فأعقاب الرجل أولاده الذين يأتون بعده، والعقوبة والمعاقبة : هي الجزاء على فعل السوء، قال تعالى: ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ [النحل: ١٢٦]. وسميت

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر (١٤٣/١) كتاب العلم ، باب رفع صوته بالعلم برقم ٦٠ ومسلم (٢١٣/١) كتاب الطهارة باب وجوب غسل الرجلين برقم ٢٤٢، ٢٤٠ وأبو داود (٢٤/١) برقم ٩٧ وابن ماجه (١٥٤/١) برقم ٤٥٠ والترمذي (٥٨/١) برقم ٤١، والدارمي (١٧٩).

(٢) راجع النهاية لابن الأثير (٢٦٩/٣).

عقوبة لأنها تعقب المعصية ، أي : تأتي بعدها[1]. والعقوبة في الاصطلاح: هي الألم الذي يلحق الإنسان مستحقاً على الجناية[2]، والعقب والعقبى قد يستعملان في الخير، قال تعالى: ﴿ **هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقبا** ﴾ [الكهف: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ **أولئك لهم عقبى الدار** ﴾ [الرعد: ٢٢]. والله تعالى يثيب على الطاعات بفضله ويعاقب على المعاصي بعدله، والثواب على الطاعات والعقاب على المعاصي في منهج القرآن يكون في الآخرة غالباً، وقد يعجل الله ذلك للإنسان في الدنيا لحكمة. وهناك عقوبات شرعها الله للعباد في الدنيا كالقصاص والحدود، يقومون بتطبيقها على المجرمين حتى ينضبط سلوك الناس، ويتحقق العدل، ويستتب الأمن. وسأتحدث عن هذه العقوبات بكلام موجز، استكمالاً لمنهج العقاب.

أولاً: الحكمة من تشريع العقوبة في الإسلام:

الحكمة من تشريع العقوبة هي دفع المفسدة وحماية المصلحة. قال تعالى: ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]. وقال تعالى: ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقال الرسول ﷺ:

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني (٥٠٩) ولسان العرب لابن منظور (١٠٢/٢).

(٢) الموسوعة الفقهية (٢٦٩/٣٠).

"لا ضرر ولا ضرار"[1]. فتبين من هذه النصوص أن الله تبارك وتعالى أمر بإصلاح الأرض وتحقيق المنفعة والسعادة لأهلها وحرم الإفساد فيها، وإلحاق الضرر بأهلها، ومن سننه في الأرض أن يدفع المفسدين بالمصلحين، فيضربون على أيدي المفسدين ويمنعونهم من الفساد ويطبقون عليهم العقوبات التي تردعهم وتصلح نفوسهم وتربيهم تربية سوية صالحة. ولذا أوجب الإسلام إقامة الحكومة العادلة الصالحة المسلمة، لأنها هي التي تستطيع أن تحقق الصلاح في الأرض، وتمنع الفساد فيها، وتضرب على أيدي المفسدين، وتطبق العقوبات الشرعية عليهم والذي يقوم بتنفيذ ذلك الإمام أو من يوليه الإمام[2]، فيتحقق العدل، ويقضى على الجريمة، أو يقلل منها، وقد جاءت الشريعة بالعقوبة لحماية الضرورات الخمس التي اتفق الفقهاء على تحريمها وتطبيق العقوبات على منتهكيها.

ثانياً: حماية الشريعة للضرورات الخمس :

وهي : حفظ الدين ، والنفس ، والعقل،والنسل ، والمال، وإليك تفصيل العقوبات التي شرعها الله على من تعدى عليها:

١- **الدين**: اهتم الإسلام بالدين، فهو الأساس الذي تقوم عليه الأمة؛ لأنه ينظم علاقتها بربها بالخضوع والاستسلام له وعبادته وطاعة أوامره واجتناب نواهيه، وينظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقته بهذا الكون وتسخيره لخدمته وتحقيق السعادة له في الدنيا والآخرة. ففي الدين عزة الأمة

---

(١) رواه ابن ماجه عن عبادة بن الصامت (٢/٧٨٤) كتاب الأحكام باب ١٧ برقم (٢٣٤٠) وفي الزوائد: في حديث عبادة هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع، لأن إسحاق بن الوليد قال الترمذي وابن عدي: لم يدرك عبادة بن الصامت، وقال البخاري: لم يلق عبادة، وراه مالك في الموطأ مرسلاً (٤٦٤) كتاب القضاء في باب القضاء في المرفق برقم (٣١)، والإمام أحمد في مسنده (١/٣١٣).

(٢) العقوبة في الفقه الإسلامي ، أحمد فتحي بهنسي (٢٢٤).

وكرامتها وهيبتها وانتصارها، فمن تعدى على هذا الدين أو دخل فيه وارتد عنه بعد أن تعرف عليه ونَعِمَ بأحكامه فعقوبته القتل، وكذا من حارب المسلمين ورفع لواء الحرب ضدهم فعقوبته أن يحارب حتى يَكُف أذاه عنهم ، أو يدخل في الدين.

٢- **النفس:** اهتم الإسلام بالنفس الإنسانية؛ لأن الإنسان هو أكرم المخلوقات عند الله في هذا الكون، وقد حملهُ أمانة التكاليف الشرعية، وجعل كل ما في هذا الكون مسخراً لخدمته، لذا اعتنى بحماية هذه النفس من القتل أو الأذى، فشرع عقوبة القصاص للقاتل عمداً والدية والكفارة للقتل الخطأ، وعظم أمر القتل وتوعد عليه بأشد العقوبات قال تعالى: ﴿ **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا** ﴾ [النساء: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً**﴾ [النساء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿ **ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون** ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٣- **العقل:** اهتم الإسلام بعقل الإنسان لأنه مناط التكريم والتكليف، وبه يعرف الدين، ويعرف رب العالمين ورسله، وبه يحصل تدبر آيات الله، وتفهم أوامره، ونواهيه، وهو زينة المرء وتاجه الذي يُتوج به، وبالعقل يتفاضل الناس ويمتازون، فلذا اهتم الشرع بالمحافظة عليه فحرم ما يؤدي إلى ذهابه وتعطيله. فحرم الإسلام الخمر والمخدرات، ووضع حداً لشارب الخمر ثمانين جلدة، والإعدام تعزيراً على مروج المخدرات، لأن مروج المخدرات يفسد عقول الناس وأجسامهم، ويقضي على شباب الأمة الذين هم عدتها، ويسعى في الأرض فساداً، قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما**

الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]. فهذه الآية فيها تحريم الخمر وبيان ما تحدثه من العداوة والبغضاء بين شاربيها وغيرهم، فشارب الخمر يفقد عقله، فتقع منه الأخطاء الجسيمة والمعاصي الكبيرة، فربما قاد سيارته فصدم الناس، وربما حمل سلاحاً فقتل الناس، وقد تحمله الخمر على فعل الفاحشة في أقرب الناس إليه، وقد حدث من بعض شاربيها، كما أنها تصد عن ذكر الله والصلاة التي هي ركن الدين وعماده، والصلة بين العبد وربه، والفارقة بين الكفر والإيمان، لذا حرمها الشرع وعاقب عليها، بالإضافة إلى ما تحدثه من أمراض جسدية كتليف الكبد، وتسمم الدم، وضعف القلب، وغيرها من الأضرار الصحية التي يتحدث عنها الأطباء كثيراً، فالشرع ما حرم شيئاً إلا لضرره، ولا أباح شيئاً إلا لنفعه، قال تعالى: ﴿ **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. والعاقل يدرك ضرر الخمر والمخدرات وخطرها، ولذا نجد جماعة من العقلاء في الجاهلية قبل الإسلام حرموا على أنفسهم شرب الخمر لما شاهدوه من أخطارها وعَلِمُوه من أضرارها.

٤- **النسل**: اهتم الإسلام بحفظ النسل البشري؛ لأن نسل الإنسان هو أساس وجوده، ويساعد على تكاثره، والمحافظة عليه يترتب عليها إخراج النسل الصالح وبناء الأسر الصالحة التي هي اللبنات التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي، ولذا حرم الإسلام كل ما يضر بالنسل فحرم الزنا، لأنه يؤدي إلى اختلاط الأنساب، وانتهاك الأعراض، وتفكك الأسر، وضياع الأولاد، وفقدانهم التربية الصالحة، كما أن الزنا يؤدي إلى نشر الأمراض الخطيرة كالإيدز والزهري والسيلان، ويضيع الأموال، ويوجد النزاع

والشقاق بين الأزواج والعداوات التي تؤدي إلى الطلاق، وتشتت الأولاد، لذا حرمه الإسلام وجعل له عقوبة رادعة وهي مائة جلدة، وتغريب سنة للبكر، والرجم حتى الموت للمحصن، ونلاحظ أن العقوبة خففت لغير المحصن مراعاة لما قد يطرأ عليه من الضعف، ولما قد يحصل له من الضغوط التي قد تؤدي به إلى الفاحشة، أما المحصن فلا عذر له يلجئه إلى الزنا، حيث إنه قد تيسر له الطريق الصحيح النظيف لقضاء شهوته هو وزوجته، فكونه يقدم بعد ذلك على الفاحشة يكون قد ارتكب جرماً عظيماً يستحق عليه الإعدام. قال تعالى: ﴿ **الزانيةُ والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾ [النور: ٢]. وقال الرسول ﷺ: "خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب سنة ، والثيب بالثيب الرجم"[(١)].

٥- **المال**: اهتم الإسلام بحفظ المال لأنه عصب الحياة ووسيلة من الوسائل التي تحقق الخير والسعادة للإنسان، وتحقق القوة والعزة للأمة، ولا يخفى علينا اليوم أهمية الاقتصاد ودوره في رقي الأمم والنهوض بها، وأن له تأثيراً على الدول، فنجد الدول الغنية تتحكم في الدول الفقيرة وتوجه سياستها كما تريد، فالمال قوة لا يستهان بها كقوة السلاح، ولذا حرم الإسلام التعدي على مال المسلم بالسرقة أو الاغتصاب، أو أخذه بوجه من وجوه الباطل، قال تعالى: ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارةً عن**

---

(١) رواه مسلم عن عبادة بن الصامت (١٣١٦/٣) كتاب الحدود باب حد الزاني برقم ١٦٩٠ وأبو داود (٤/١٤٤) كتاب الحدود / الرجم برقم (٤٤١٥) وأحمد في مسنده (٤٧٦/٣).

تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ [النساء: ٢٩]. ولذا حرم الربا لأنه أكل لأموال الناس بالباطل، قال تعالى: **﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾** [البقرة: ٢٧٥]. وقال: **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون * وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** [البقرة: ٢٧٨-٢٨٠]. فالله تبارك وتعالى حرم الربا لأن فيه أكلاً لأموال الناس بالباطل وإحداث العداوة بينهم والبغضاء، وتكالب الديون على من يتعاطى الربا سواءً على المستوى الفردي أو الدولي، وتحكم الدائن في المدين، ويؤدي إلى إفلاس كثير من التجار بسبب الديون المتراكمة عليهم، وكذا يؤدي إلى إفلاس بعض البنوك لعجز المدينين عن تسديدها، كما حرم السرقة وجعل حدها قطع يد السارق[1]، قال تعالى: **﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أَيْدِيَهُما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾** [المائدة: ٣٨].

ثالثاً: أقسام العقوبات في الشريعة :

مما تقدم يتضح لنا أن العقوبات شرعت في الإسلام لحماية الضرورات الخمس: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وهذه العقوبات المقصود بها منع الضرر عن الضرورات الخمس، والعقوبات درجات في القوة حسب قدر

---

(١) راجع: العقوبة لمحمد أبو زهرة (٣٤-٣٧) وفلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون الفكري ، عكاظ وأثر الحدود في المجتمع ، بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الذي عقدته جامعة الإمام (٢٧٣) وأثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع ، للذهبي ص ٤٠. وقد رجعت إلى هذه الكتب في حماية الشريعة للضرورات الخمس.

الاعتداء على هذه الضرورات، فيشرع لها من العقوبة ما يردع قوة وضعفاً بحسب قوة الجريمة أو ضعفها. فهذه العقوبات قد تصل في القوة إلى القتل في حالة قتل النفس البريئة عمداً، وقد تصل إلى درجة الجلد ثمانين جلدة في حالة الاعتداء على العرض بالقذف، فالمقصود من شرعية العقوبات منع الجريمة. والعقوبة في الشريعة إذا كانت جلداً أو قصاصاً فلا تثبت إلا بنص عن الله أو رسوله ﷺ، وإذا كانت تعزيراً فتكون بالقياس، أو اجتهاد من الحاكم في ضوء النصوص الشرعية لأن النصوص الشرعية لها نهاية والحوادث لا نهاية لها فتحتاج الأمة أن تُحدث من الأَقضية على قدر ما يحدث لها من الحوادث[1].

ويمكن تقسيم العقوبات في الشريعة إلى ثلاثة أقسام:

١- عقوبات القصاص.

٢- عقوبات الحدود.

٣- عقوبات التعزير.

رابعاً: حق الله في العقوبة وحق الآدمي :

وهذه العقوبات منها ما يتعلق بحق الله وهي عقوبة الجريمة التي يمس أذاها المجتمع وتسمى في القانون : الحق العام، ويكون حق الآدمي فيها موجوداً ولكن حق المجتمع فيها أظهر، ومنها ما يتعلق بحق الآدمي ويسمى في القانون : الحق الخاص لأن حق المجتمع فيها أقل. فحد الزنا أو السرقة إذا بلغ الحاكم فلا يجوز العفو عنه، بل يجب إقامته لتعلقه بحق الله؛ لما يترتب على الزنا من اختلاط الأنساب وإشاعة الفاحشة في المجتمع وتقليل الزواج، وما يترتب على السرقة من ترويع الآمنين وإثارة الخوف في المجتمع. وحق القذف إذا بلغ الحاكم فيجوز

---

(١) العقوبة ، للشيخ محمد أبو زهرة (٦١).

إسقاطه إذا عفا عنه المقذوف، لأن حقه فيه أغلب من حق المجتمع، لأنه طعنٌ في عرضه وإهانة لكرامته، وحق القصاص إذا بلغ الحاكم وعفا عنه ولي الدم يسقط، لأنه حق من حقوق الآدميين. وهكذا في جميع الحقوق الشرعية ما تعلق منها بحق الله يجب إقامته إذا بلغ الحاكم، وما تعلق بحق الآدميين فيجوز للآدمي العفو عنه وإن بلغ الحاكم[1]. قال الرسول ﷺ: "تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب "[2].

خامساً: الحدود تدرأ بالشبهات :

قال رسول الله ﷺ: " ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام إن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة"[3]. فالعقوبات المتعلقة بحق الله كالزنا والسرقة فإن الشارع قد اشترط شروطاً شديدة لتنفيذها مما جعل من الصعب ثبوتها، إلا على سبيل الندرة؛ لأن القصد الشرعي من هذه العقوبات هو التخويف والزجر أكثر من التحقيق والتنفيذ. فمثلاً عقوبة الزنا لا تثبت إلا بأربعة شهود عدول يشهدون ويصفون رؤيتهم للزنا وصفاً دقيقاً، وإذا لم يصفوا ذلك أو قل عددهم عن أربعة فيعدون في حكم الشرع قَذَفة يقام عليهم حد القذف، والقصد من هذا صيانة أعراض المؤمنين، والستر عليهم، وأن هذه العقوبة لا تنفذ إلا على من استهتر وبلغ به

---

(١) المغني لابن قدامة (٣٨٦/١٢) وزاد المستقنع في اختصار المقنع (٨٨) وتفسير الألوسي (٩٣/١٨) والعقوبة لمحمد أبو زهرة (٦٥) .

(٢) الحديث رواه أبو داود عن عمرو بن العاص (١٣٣/٤) كتاب الحدود برقم (٤٣٧٦) والنسائي (٦٣/٨) كتاب السرقة ، باب ما يكون حرزاً.

(٣) رواه الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها (٣٣/٤) كتاب الحدود ، باب درء الحدود برقم (١٤٢٤) وقال: إنه رُوي مرفوعاً وموقوفاً وهو الأصح.

الاستهتار إلى المجاهرة بجريمة الزنا وإعلانها أمام الناس، فمثل هذا عضو مريض يجب علاجه وتأديبه بالحد أو بتره من المجتمع بالرجم. وكذلك حد السرقة لا يثبت إلا بشروط منها أن يكون المسروق نصاباً ومالاً محترماً، وأن تكون السرقة خفية ولا شبهة للسارق فيها[1]، إلى غير ذلك من الشروط التي يصعب تحققها، والقصد من هذا أن يكون تنفيذ هذه العقوبة على وجه الندرة، فلا تطبق إلا في حالة اعتراف الشخص ، أو ثبوتها عليه، فالشرع يدعو إلى درء الحدود بأدنى شبهة تمنع من تنفيذها رحمة ورأفة بالأمة قال عمر : " لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إليّ من أن أقيمها بالشبهات"[2].

أما إذا ثبت على الشخص باعترافه أو بعد تحقق شروط الثبوت فيجب في هذه الحالة إقامتها ولا يجوز إسقاطها، ولا يجوز الشفاعة فيها؛ لأنها أصبحت حقاً عاماً لله، فلا يجوز لأحد أن يتدخل فيه، لأن التدخل فيه تعطيل لشرع الله واعتراض على تنفيذ أوامره، ولذا أنكر الرسول ﷺ على أسامة بن زيد لما شفع في المرأة المخزومية التي سرقت فقال: "أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"[3]. فعدم تنفيذ حدود الله إذا بلغت الحاكم يؤدي إلى ضلال الأمة، كما أن حدود الله يجب أن تنفذ بين الناس

---

(١) زاد المستقنع في اختصار المقنع (٨٩).

(٢) التشريع الجنائي الإسلامي ، لعبد القادر عودة (١/٢٠٨).

(٣) الحديث رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها (١٢/٨٩) كتاب الحدود باب كراهية الشفاعة في الحد برقم (٦٧٨٨) واللفظ له ومسلم (٣/١٣١٥) برقم (١٦٨٨) والنسائي (٨/٦٤) وأحمد في مسنده (٦/ ١٦٢).

بالسوية لا فرق بين غني وفقير ولا شريف ووضيع، وقد مثل الرسول بابنته وهي من أشرف الناس، وأحبهم إليه، وهذا تحقيق للعدالة والمساواة بين أفراد الأمة حاكماً ومحكوماً.

سادساً: العقوبة بين الشريعة والقانون :

مما تقدم يتضح لنا أقسام العقوبة في الشريعة الإسلامية والمقاصد التي شرعت لها، وقد جاءت القوانين الوضعية بعقوبات على الجرائم التي تقع في المجتمعات، ولكن هذه العقوبات تختلف عن العقوبات الشرعية من حيث المقدار والنوع والمقصد، ودراسة هذه الفروق بينهما تحتاج إلى بحث طويل، بل بحث مستقل، ولكن يمكن أن نتعرض لبعض هذه الفروق باختصار كالآتي:

١- العقوبة في الشريعة تحمي الفضيلة، وفي القانون تحمي ما تعارف عليه الناس من فضيلة أو رذيلة.

٢- الجريمة في الشريعة لها عقوبة في الدنيا أو في الآخرة، فإذا لم تثبت على الجاني العقوبة في الدنيا، فإنه معاقب عليها في الآخرة إذا مات ولم يتب، وهذا مما يجعل الإنسان يحذر من الوقوع في الجريمة؛ لأنه لو استطاع أن يخفيها عن الناس في الدنيا فلا يدان بها، فإنها لا تخفى على الله الذي يعلم السر وأخفى، وهذا مما يقلل وقوع الجرائم ويربي في الإنسان الخوف من الله. أما القانون الوضعي فعقوبته واحدة في الدنيا، فمن استطاع أن يخفي جريمته وأن يتهرب من الأدلة الثبوتية فإنه حينئذ ينجو من العقوبة، فعلى هذا لا يستطيع القانون منع كثير من الجرائم؛ لأن هناك من يستطيع التهرب أو التحايل أو استغلال نقاط الضعف في القانون فينجو من العقوبة.

٣- العقوبة في الشريعة تربي الندم والتوبة عند الجاني بخلاف القانون فإنه ربما أحدث إصرار الجاني على الجريمة، كما يحدث في الدول التي تطبقه، فإن المجرم يخرج من السجن على أمل العودة إليه بعد ارتكاب جريمة أخرى.

٤- العقوبة في الشريعة تحقق العدل والأمن بخلاف القانون، والتجربة أصدق برهان فقارن الجريمة بين دولة تطبق الشريعة كالمملكة العربية السعودية ودولة تطبق القانون الوضعي، نجد فرقاً شاسعاً.

فالشريعة تهذب النفس البشرية بالعبادات، وتربي الرأي العام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتربي في الأمة الحياء، وهذه وسائل تساعد على منع الجريمة، وإذا وقعت الجريمة من بعض الأفراد الذين لم يتأثروا بهذه التربية فحينئذ تتخذ الشريعة العقوبة في حقهم تربية وزجراً لهم وعبرة لغيرهم. أما القانون فإنه لا يتخذ إجراءات وقائية فإذا وقعت الجريمة طبق عليها القانون العقوبة، وما أكثر الجرائم التي تقع في ظل القوانين الوضعية، ولا تستطيع القوانين حسمها وكف الناس عنها، فنجد في الدول التي تطبق القوانين الوضعية تنشأ فيها عصابات الإجرام، وتتأصل وتقوى وتتمرد بحيث تشكل خطراً على المجتمع، وعلى الدولة، فلا تستطيع صدها، أو إيقافها عند حدها كعصابات المافيا في أوربا، وعصابات السرقة في أوربا وأمريكا، تسطو على البنوك والمؤسسات التجارية الكبرى فتسرقها فلا تستطيع الدولة حمايتها، كما تستطيع اختطاف كبار رجال السياسة والاقتصاد، فلا تستطيع الدولة حمايتهم، ومثل هذا لا يحصل في دولة إسلامية تطبق شرع الله؛ لأن شريعة الله وعقوبته فيها من الهيبة والزجر ما يردع هؤلاء وأمثالهم[1].

---

(١) راجع تفصيل هذه الفروق في كتاب العقوبة للشيخ محمد أبو زهرة (١٦-٢٣).

تقدم في هذا المبحث بيان اهتمام الإسلام بالثواب والعقاب وتعريفهما، وأنهما يكونان في الآخرة غالباً، كما استكملت بحث الثواب ببيان تفاوته ومايبطله وثواب الأعمال الدنيوية والعقاب ببيان ما شرعه الله من العقوبات في الدنيا على الجرائم التي تهتك الفضيلة وتروع الآمنين، وهذا المبحث يعد تمهيداً لدراسة منهج الله في الثواب والعقاب في سورة الحج كما سيأتي في المبحث الثاني.

المبحث الثاني

دراسة الثواب والعقاب في سورة الحج

بعد بيان اهتمام الإسلام بالثواب والعقاب في المبحث السابق، سأتابع في هذا المبحث دراسة منهج القرآن الكريم في الثواب والعقاب مفصلاً على سورة الحج، لوروده فيها بأساليب متنوعة، وقبل الدخول في تفاصيل ذلك يحسن بنا أن نقدم لهذه السورة بمقدمة نتحدث فيها عن مكان نزولها وفضلها ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها وأهم موضوعاتها على النحو الآتي:

مكان نزول السورة وفضلها:

اختلف فيها على قولين، الأول: أنها مكية إلا أربع آيات، بدءاً من قوله تعالى: ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ الآيات [الحج:١٩-٢٢]، والثاني: أنها مدنية إلا أربع آيات من قوله تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**﴾ الآيات [الحج:٥٢-٥٥]. وقال الجمهور: السورة مختلطة منها مدني ومنها مكي ففيها ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ مكي، و﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ مدني وهكذا، وقد رجحه القرطبي[١]. وعدد آياتها في المصحف (٧٨) آية. وقد جاء في فضلها عن عقبة بن عامر " قال: قلت: يا رسول الله فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين؟ قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما"[٢].

---

(١) تفسير القرطبي (١/١٢) ، والدر المنثور للسيوطي (٣٤٢/٤).

(٢) الحديث رواه الترمذي (٤٧٠/٢) باب ما جاء في السجدة في الحج برقم (٥٧٨) وقال أبو عيسى: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي، وقد علق عليه الشيخ أحمد شاكر بتصحيحه ثم ناقش رجال إسناده بكلام مفصل ورواه أبو داود (٥٨/٢) باب تفريع أبواب السجود برقم (١٤٠٢) ورواه الإمام أحمد في مسنده (١٥١/٤) وراجع تفسير ابن كثير (٤٠٤/٥).

مناسبة السورة لسورة الأنبياء قبلها ، ولسورة المؤمنون بعدها:

لما افتتحت سورة الأنبياء باقتراب الحساب للناس، وختمت بذكر أهوال اليوم الآخر كخروج يأجوج ومأجوج واقتراب الوعد الحق، ووعيد الكفار بالنار، ونجاة المؤمنين منها، وطي السماء كطي السجل للكتب، كما تخلل هذه السورة إشارات إلى البعث وأدلة عليه، ناسب أن تأتي بعدها سورة الحج وتبدأ بالأمر بالتقوى للنجاة من هول ذلك اليوم[1]، ثم تستمر السورة في وصف أهوال يوم القيامة والتدليل على البعث، فيلاحظ هنا تناسب هاتين السورتين في اهتمامهما باليوم الآخر، ووصف أهواله والأمر بالاستعداد له بالتقوى والعمل الصالح.

ولما ختم الله سورة الحج بأمر المؤمنين بجميع تكاليف الدين وأكد عليها ورتب على امتثالها الفلاح بقوله: ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ وأفرد الصلاة والزكاة بالذكر لأنهما من أهم تكاليف الدين – فالصلاة صلة بين العبد وربه ، والزكاة صلة بين العباد– ناسب أن يفتتح سورة المؤمنون ببيان ثمرة العمل بهذه التكاليف التي ختم بها سورة الحج فقال: ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ أي : فازوا بالسعادة في الدنيا والآخرة[2]. فيلاحظ من هذا مدى التناسب والتناسق بين ختام سورة الحج وافتتاح سورة المؤمنون والنص على الصلاة والزكاة في الموضعين لأهميتهما.

---

(١) راجع نظم الدر في تناسب الأيات ، والسور للبقاعي (١٣/١).

(٢) المصدر السابق (١٣/١٠٥).

أهم موضوعات السورة :

سميت هذه السورة بسورة الحج لأنه من أهم موضوعاتها، حيث افتتحت بالأمر بالتقوى ووصف يوم القيامة ثم ذكرت أدلة على البعث، ثم دخلت في تفصيل بعض أعمال الحج، وكثير منها فيه تذكير بالبعث وحشر الناس يوم القيامة، فلبس الإحرام فيه تجرد من الدنيا وتذكير بالموت، حيث إن الميت يخرج من الدنيا بمثل هذا اللباس وكذا ازدحام الناس في مشاعر الحج لا فرق بينهم يذكر بالحشر، ثم جاء بعد ذلك الإذن بالقتال في قوله: ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ [الحج: ٣٩]، وقد كان القتال قبل نزول هذه الآية محظوراً بمكة؛ لأن المسلمين كانوا قِلة، فلو أُمروا بالقتال في ذلك الوقت لقضي على الدعوة في مهدها، فكان الرسول وأصحابه مأمورين بالصبر على أذى المشركين، حتى أذن الله له بالهجرة إلى المدينة واجتمع حوله الناس، وصار للمسلمين قوة، حينئذ أذن الله لهم بالقتال كما في الآية السابقة، ثم بعد ذلك ذكرت السورة تكذيب الأمم لرسلهم، وما حل بهم من الهلاك تسلية للرسول ﷺ، وعبرة لقومه، ولمن يأتي بعدهم، ثم تحدثت السورة عن نسخ ما يلقي الشيطان من الشبهات في تلاوة الرسول ﷺ ودعوته، وما ينزله الله تعالى من الآيات المحكمات التي تبطل تلك الشبه، فيزداد المؤمنون إيماناً، وأما الكفار فلا يزالون في شك من القرآن حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم، فيرون الحقيقة عياناً فيندمون، ولا ينفعهم الندم حينئذ، ثم ذكرت السورة ثواب المهاجرين والمعاقبة بالمثل، وأدلة على استحقاق الله للعبادة، وعقاب من يعبد غيره، وضعف الآلهة المعبودة من دونه، وخُتِمت السورة بثواب المؤمنين، ورفع الحرج عنهم، وهكذا بدأت السورة بالأمر بالتقوى وختمت ببيان بعض التكاليف التي تأمر بها التقوى، وتخلل ذلك بعض أعمال الحج، وأدلة على البعث والتخويف والرجاء، لحث الناس على الأعمال الصالحة وتحذيرهم من المعاصي.

موضوعات الثواب والعقاب في السورة :

مما تقدم يتضح لنا أهمية ما اشتملت عليه هذه السورة من موضوعات، وما تخللها من آيات الثواب والعقاب، حيث بلغت تسعاً وعشرين آية، فأردت الكتابة في هذه الموضوعات من زاوية إبراز الثواب والعقاب فيها لإثارة الخوف والرجاء عند الإنسان لينشط في مجال العمل الصالح، ويحذر من المعاصي، مع بيان أسلوب القرآن المتنوع في عرض الثواب والعقاب متناسباً مع المقام من الإجمال والتفصيل والاختصار والقوة والهدوء حتى يتضح إعجاز القرآن في باب الثواب والعقاب وإليك تفصيل ذلك في الموضوعات الآتية:

١- اتقاء أهوال يوم القيامة :

قال تعالى: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ [الحج: ١-٢].

ففي هذه الآية خطاب لجميع الناس بأن يتقوا ربهم الذي خلقهم ورزقهم، والتقوى هي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾ [التحريم: ٦]. وعلل الأمر بالتقوى بأهوال يوم القيامة بجملة مجملة وهي قوله: ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾، والزلزلة: هي الحركة القوية السريعة المتكررة[1]، والساعة: هي الوقت الذي تنتهي فيه الدنيا وتبدأ فيه الآخرة، ويعبر عنها بالقيامة، وقد أخبر عنها بقوله: ﴿ **شيء عظيم** ﴾،

---

(١) راجع تفسير أبي السعود (٦/٩١).

وتنكير (شيء) ووصفه بعظيم مبالغة في تهويله وتعظيمه، فهذا اللفظ يوحي بانتهاء الدنيا، وذلك بتشقق السماء وانتثار الكواكب وتكور الشمس وتفجر البحار ودك الجبال وحشر الوحوش وبعثرة القبور وقيام الناس من قبورهم للحساب، وهو أمر عظيم مهول تبدأ بعده الآخرة، وقد فصّل الله أهوال ذلك اليوم في الآية بقوله: ﴿ **يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت** ﴾، فمن شدة هول هذا اليوم فإن المرضعة تنسى ولدها وهي أشد حُباً له وتعلقاً به لأنه جزء منها، فكون الإنسان ينسى جزءاً منه دليل على عظمة هذا الهول وشدته، كما أن الحامل من شدة أهوال ذلك اليوم تلد، ومعلوم أن المرأة لا تلد قبل أوانها إلا لأمر عظيم خطير، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى من الخمر، ولكن الذي أسكرهم شدة عذاب ذلك اليوم وهوله.

فنلاحظ أن الله تبارك وتعالى لما أمر بالتقوى في أول السورة علل ذلك الأمر بكلام مجمل وهو تخويف الناس من زلزلة الساعة، ثم فصل ما في هذا اليوم من أهوال وحساب وعقاب حتى يستعدوا له بالعمل الصالح، ويهتموا بأمر التقوى والالتزام بها في حياتهم العملية، فهي الدين كله والمقياس الذي يقاس به الناس، ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات: ١٣]. وقد ركز القرآن على اليوم الآخر في كثير من الآيات، لأثره في ضبط سلوك الإنسان، وتعامله مع الآخرين، فالذي يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً حقاً يهتم كثيراً بامتثال أوامر الله في العبادات وفي التعامل مع الناس.

٢- عقاب من يجادل في الله بغير علم :

قال تعالى: ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد * كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير**﴾ [الحج: ٣-٤].

لما ذكر في الآيات السابقة الأمر بالتقوى والتخويف من أهوال يوم القيامة أعقبه بأن بعض الناس يجادل في قدرة الله وصفاته والبعث[١]، وعبادته بغير علم ولا برهان، مكابرةً وعناداً مع وجود الأدلة الواضحة على قدرة الله وعظمته واستحقاقه للعبودية، وهي أدلة كثيرة جاءت في القرآن الكريم وفي الكون وفي النفس البشرية، ﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ [الذاريات: ٢١]. وما في القرآن يطابق ما في النفس والكون لا اختلاف بينهم، بل يؤيد كل منهم الآخر ويدل على أن منزل هذا القرآن هو خالق الإنسان والكون وما فيه، ومع هذا الوضوح والبيان نجد ﴿**من الناس من يجادل في الله بغير علم**﴾ ويتبع في جداله كل شيطان عاتٍ متمردٍ على الحق من زعماء الكفر، فإن هذا الشيطان يضل من اتبعه، وهكذا شأن زعماء الكفر المتمردين، يضلون من اتبعهم من عامة الناس، ويصدونهم عن الهدى، ويحولون بينهم وبين الحق، فلولاهم لاهتدوا؛ ولذا أمر الله بقتالهم فقال: ﴿**فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون**﴾ [التوبة: ١٢]، فإنهم يضلون الناس ويهدونهم إلى عذاب النار المتسعرة المتأججة، وعبر بـ(يهديه) على سبيل التهكم بهم، كما في قوله ﴿ **وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** ﴾ [التوبة: ٣]. وقد ختمت الآية بعقاب من يضل الناس عن الحق ومن يتبعه بعذاب السعير وهو اسم من أسماء النار، سميت به لشدة تسعرها بما

---

(١) راجع تفسير ابن عطية (٢٢٦/١٠).

يلقى فيها من البشر والحجارة، كما قال تعالى: ﴿ **فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾ [البقرة: ٢٤]. ثم ذكر الله أدلة على اليوم الآخر، وأن الله سيبعث الناس فيه كما خلقهم أول مرة، ودلل على ذلك بقوله: ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة** ﴾ [الحج: ٥]. فذكر في هذه الآية النشأة الأولى للإنسان، وهي أن الله خلقه من تراب، ثم من نطفة فتدرج في الخلق إلى علقة، ثم إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة، ثم ولد طفلاً، ثم يبلغ أشده من القوة، فمن الناس من يموت في قوته، ومنهم من يرد إلى أرذل العمر، ﴿**لكيلا يعلم من بعد علمٍ شيئاً**﴾، فهذا دليل على الإيجاد من العدم، والإعادة ببعثه مرة أخرى أسهل عليه من الإيجاد، وهذا يقال بالنسبة للإنسان لتقريب الأمر إلى ذهنه، أما الله تبارك وتعالى فيستوي عنده الإيجاد من عدم والبعث من جديد، فكلاهما بالنسبة لله أمر هين سهل ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ [يس: ٨٢]. كما ضرب مثلاً بإحياء الأرض وإنبات الزرع للتدليل على ﴿**أنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور** ﴾ [الحج: ٦-٧]. ثم بعد هذه الأدلة الساطعة الواضحة عقب عليها بقوله: ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق * ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾ [الحج: ٨-١٠]. وفي التعقيب على هذه الأدلة الدالة على البعث بجدال من يجادل في شأن الله وفي البعث بغير علم ضروري لا يعذر أحد بجهله ، ولا هدى ، أي علم نظري، ولا كتاب منير ، أي: منزل من الله، دليل على عجرفة الإنسان الكافر وتكبره عن

آيات الله البينات ودلائله الواضحات، فهو كثير المعارضة والجدال، كما قال تعالى: ﴿ **وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً** ﴾ [الكهف: ٥٤]. وقوله: ﴿ **ثاني عطفه** ﴾، للدلالة على غطرسته وتكبره، فعطف الإنسان هو ركنه الأيمن أو الأيسر، فهو أثناء جداله مائل بجسمه مستهيناً بأمر الآخرة والبعث، فهو ضال ولا يكتفي بضلاله بل يضل غيره عن سبيل الله أي طريق الجنة، وقد توعده الله في الدنيا بالخزي والخذلان ، فإن المتكبر على آيات الله لابد في يوم من الأيام يخزيه الله، والله يمهل ولا يهمل، وفي الآخرة يوم القيامة يذيقه عذاب الحريق، والحريق اسم من أسماء النار كالسعير المتقدم في الآية السابقة، فإن النار كما تتسعر فهي شديدة التحريق لأعداء الله من الكفار والمشركين ، الذين يجادلون في الله بغير علم ويضلون الناس عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ [النساء: ٥٦]. فنلاحظ مما تقدم أن الآية ختمت بأن من يجادل في شأن الله وفي البعث بغير علم يعاقبه الله بالخزي في الدنيا وعذاب الحريق يوم القيامة، فالعقاب في هذه الآية جاء مختصراً مع اقترانه بعذاب في الدنيا، وفي الآية السابقة الوعيد لمن يجادل في الله بغير علم بعذاب السعير، وفي هذه الآية كرر وعيد ذلك المجادل لعظيم جرمه، وأهمية الإيمان باليوم الآخر، لما له من أثر في الالتزام بتقوى الله وحسن التعامل مع الناس، وهذا العقاب للمجادل بسبب ما قدمت يداه من الجدال في الباطل، فالله تبارك وتعالى إذا عاقب الناس لا يظلمهم، وإنما يجازيهم على أعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ﴿ **وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾.

٣- عقاب من يعبد الله على حرف :

قال تعالى: ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به * وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * يدعو من دون الله ما لا يضره وما لاينفعه ذلك هو الضلال البعيد * يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير** ﴾ [الحج: ١١-١٣].

لما ذكر في الآيات السابقة حال المجاهر بكفره، المعاند للحق، المجادل في شأن الله بالباطل، عقب ذلك بذكر حال المتردد في الدين من الناس، الذي يعبد الله على حرف، وحرف الشيء : طرفه[١]، فهو ليس في وسط الدين، ولا في قلبه، وإنما متطرف فيه، ودائماً المتطرف ليس له ثبات فحاله متأرجح يتأثر بأقل صدمة، فإن أصابه خير من الدين كسعة الرزق ونماء الزرع وكثرة الولد، بقي عليه واستمر فيه، وقال: هذا دينُ خيرٍ وبركة، وإن أصابته ، فتنة أي : حلت به مصيبة كضيق الرزق وسوء الأحوال، انقلب على وجهه ، أي رجع عن الدين، وقال: ما أصابني من هذا الدين إلا المشاكل والمصائب، فأولى بي أن أتخلى عنه، وهذا النموذج من الناس كثير في كل زمان ومكان، الذين يحسبون الدين بحساب الربح والخسارة[٢] فيعدونه صفقة تجارية، فإن ربحوا تمسكوا به، وإن خسروا تخلوا عنه، وهذا نتيجة ضعف الإيمان وعدم القناعة بالدين، فهو لم يدخل فيه عن قناعة واختيار، إنما أخذه تقليداً عن آبائه، ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ [الزخرف: ٢٣]. وإلا فالعقيدة حصن حصين وحمى قوي فمن دخل فيها حمته وحَصّنته، فهو يعتمد عليها، ولا يتأثر

---

(١) راجع فتح القدير ، للشوكاني (٣/٥٣٨).

(٢) راجع في ظلال القرآن، لسيد قطب (١٨/٧٩).

بما يصيبه من المصائب، فهي كلها بقضاء الله وقدره، وابتلاء من الله لتمحيص إيمانه، واختبار ثباته، اللهم ثبتنا على الإيمان حتى نلقاك به. وقد ختم الله الآية بعقاب من يعبد الله على حرف بقوله: ﴿ **خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** ﴾ أي أن من يعبد الله على مصلحة، فإذا أصابته مصيبة في نفسه ودنياه، فإنه لا يصبر على ذلك ولا يحتسب الأجر من الله، بخلاف المؤمن الذي يصبر على ما يبتلى به من المصائب، فإنه يكسب الثواب عليها في الآخرة، ويعوضه الله خيراً منها في الدنيا على صبره، أما المتردد في دينه فهو يخسر بسبب هذه المصيبة دينه، حيث يتخلى عنه فيشقى في دنياه، ويخسر الجنة في الآخرة، ويعاقبه الله بالنار، ومثل هذا من يقاتل في طرف الجيش، فإن أصابوا غنيمة دخل معهم، وإن وقعوا في هزيمة فرّ عنهم، فهو غير مقتنع بقتاله معهم وإنما يقاتل لمصلحة.

فنلاحظ في هذه الآية أن العقاب جاء في الدنيا والآخرة، وجاء بلفظ الخسران، والمراد به خسران السعادة في الدنيا، وخسران الجنة في الآخرة، فيعاقبه الله بالنار، فالتعبير بالخسران عن العذاب مجملٌ، وليس بالنص كما في الآية السابقة ﴿ **ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** ﴾ [الحج: ٩]. وهذا أسلوب من أساليب القرآن في العقاب والثواب.

٤- ثواب المؤمنين:

قال تعالى: ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد** ﴾ [الحج: ١٤].

هذه الآية ثواب للمؤمنين الذين اتقوا الله فامتثلوا أمره قولاً وعملاً، وآمنوا بالله واليوم الآخر وما فيه من بعث وثواب وعقاب، آمنوا بذلك حق الإيمان

فأثابهم الله على إيمانهم وعملهم الصالحات جنات، وهي البساتين الملتفة التي تغطي ما حولها، تجري من تحتها إلانهار، ﴿ **إن الله يفعل ما يريد** ﴾ فيثيب المؤمنين بالجنات ويعاقب المجادلين بغير علم والمترددين في عبادتهم بعذاب الحريق. فيلاحظ أن الثواب هنا جاء مختصراً على حين سيأتي في الآيتين رقم (٢٣، ٢٤) أكثر تفصيلاً.

ومما تقدم من أول السورة إلى هذه الآية، يتبين أنها بدأت بالأمر بالتقوى والتخويف بأهوال يوم القيامة، وما يحصل فيه من الذهول والسكر بسبب شدة العذاب وهوله، بعد هذا ذكرت موقف الناس من تقوى الله ومن الإيمان باليوم الآخر والبعث، فبدأت بمن يجادل في ذلك بغير علم، رغم وجود الأدلة الكثيرة الدالة على تحققه، وختمت بذكر موقف المؤمن التقي العامل للصالحات، وذكرت بينهما المتردد في عبادته لله، فهو على طرف حسب المصلحة، فإن أصاب مصلحة صار مع المؤمنين، وإن أصابته مصيبة صار مع الكافرين، فيتضح من هذا براعة أسلوب القرآن، وحسن تنظيمه وترتيبه لهذه الأصناف الثلاثة.

٥- ثواب من يسجد لله ، وعقاب من لا يسجد له:

قال تعالى: ﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء**﴾ [الحج: ١٨].

في هذه الآية يخبر الله تعالى أن جميع من في السماوات ومن في الأرض : من الملائكة والناس والجن، وكذا المخلوقات الآخرى : كالشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب، كلها تسجد لله سجود خضوع وتسليم وانقياد، وكثير من

الناس يسجدون لله سجود عبادة فيثابون على ذلك[1]، وكثير من الناس لا يسجدون لله سجود عبادة من الكفار والمشركين فقد حق عليهم العذاب، عقوبة لهم على جحودهم لعبادة الله، وفي هذا العذاب إهانة وإذلال لهم ﴿ **ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء** ﴾ من إهانة الكافر بالعقاب وإكرام المؤمن بالثواب.

ويلاحظ أن الآية خُتِمت بالعذاب نصاً لمن لا يسجد لله عبادة، على حين أنها دلت على الثواب ضمناً لمن يسجد لله عبادة، كما أضافت الآية الإهانة لمن لا يسجد لله وأنه لا مكرم له ، وهذا نوع آخر من العقاب اشتملت عليه الآية ومفهومه الإكرام لمن سجد لله طاعة. وجاء في الحديث : " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله ـ وفي رواية أبي كُريب: يا ويلي ـ أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار"[2]. وآخر هذه الآية موضع سجدة من سجدات تلاوة القرآن، ويدل عليها ما رواه عمرو بن العاص "بأن رسول الله ﷺ أقرأني خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان"[3].

٦- عقاب الكافرين وثواب المؤمنين وخصومتهم في ربهم :

قال تعالى: ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق روسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم**

---

(١) راجع تفسير الشوكاني (٣/٥٤٢).

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة (١/٨٧) كتاب الإيمان ، باب ٣٥ برقم (٨١) وراجع تفسير ابن كثير (٥/٤٠٤).

(٣) رواه أبو داود (٢/٥٨) باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن ، برقم (١٤٠١) وابن ماجه (١/٣٣٥) باب عدد سجود القرآن، برقم (١٠٥٧) وراجع تفسير ابن كثير (٥/٤٠٥).

والجلود * ولهم مقامع من حديد * كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق * إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ [الحج: ١٩-٢٤].

لما ذكر في الآية السابقة المؤمنين وأصحاب الديانات الآخرى من اليهود والصابئين والنصارى والمجوس والمشركين، وأن الله يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختصموا فيه، ناسب في هذه الآيات أن يذكر عقاب الكافرين وثواب المؤمنين، فأشار إلى خصومهتم أولاً بقوله: ﴿ **هذان خصمان** ﴾ أي : فريق المؤمنين والكافرين، ﴿ **اختصموا في ربهم** ﴾ في دينه وصفاته، فأهل الكتاب من اليهود والنصارى يقولون : ديننا أقدم وكتابنا منزل قبل كتابكم ورسولنا قبل رسولكم فديننا هو الصحيح، والمؤمنون يقولون: نبينا خاتم الأنبياء، ونؤمن بجميعهم، وكتابنا آخر الكتب، مصدق لما قبله ومهيمن عليه[1]، ولا دين صحيح غير الإسلام ﴿ **ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ثم بعد أن أشار إلى خصومتهم ذكر عقوبة الكفار على سبيل التفصيل بأن الله تبارك وتعالى يُقَطّع لهم ثياباً من النار على قدر أجسامهم حتى يعمها العذاب، وفي هذا تهويل عظيم للعقوبة حيث إن النار تشتعل في جميع أجزاء الجسم، و﴿ **يصب من فوق رؤسهم الحميم** ﴾، الماء المتناهي في حرارته، قال ابن عباس: " لو قطرت قطرة من الحميم على جبال

(١) راجع أسباب النزول ، للواحدي (٣١٩).

الدنيا لأذابتها"[1]. وإذا صب فوق رؤوسهم، صَهَر ما في بطونهم وجلودهم، قال النبي ﷺ:" إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر ثم يعاد كما كان"[2]. ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾، قال رسول الله ﷺ: "لو أن مقمعاً من حديد، وضع في الأرض، فاجتمع له الثقلان، ما أقلّوه من الأرض"[3]. ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا** ﴾ من النار بأن ارتفع بهم لهيبها إلى أعلى ضُربوا بالمقامع فانتكسوا إلى أسفلها ﴿ **وذوقوا عذاب الحريق** ﴾، " أي الغليظ من النار المنتشر العظيم الهلاك"[4].

ففي هذه الآيات تفصيل دقيق لعذاب الكفار في النار يدل على هوله وشدته وأنه لا يطاق بحال من الأحوال، وفي هذا تحذير شديد من الكفر وإثارة للخوف عند الإنسان منه، فمن يكفر فإن مصيره إلى عذاب الحريق الذي تقدم وصفه، وبعد أن ذكر الله هذا العقاب للكافرين أعقبه بذكر ثواب المؤمنين، وصدره بقوله: ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات** ﴾، وفي تصديره بإن وإسناد الإدخال إليه تأكيد وتكريم للمؤمنين ثم فصل هذه الجنات بأنها تجري من تحتها الأنهار في كل مكان كما ورد في الآثار، وجريان الأنهار في بساتين الجنة الكثيفة مما يعطي المكان جمالاً وراحة ويذهب الهموم ويضفي السرور على النفوس، يضاف إلى هذا تحلية المؤمنين بأساور من الذهب واللؤلؤ،

---

(١) تفسير الزمخشري (١٥٠/٣) وأبي السعود (١٠١/٦).

(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه (٧٠٥/٤) كتاب ما جاء في صفة شراب أهل النار ،٤ برقم (٢٥٨٢) وقال : حديث حسن صحيح غريب، ورواه الطبري في تفسيره (١٣٤/١٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٩/٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) تفسير الزمخشري (١٥٠/١).

ولباسهم فيها الحرير، وهذا مقابل للباس أهل النار، فهم يلبسون ثياباً من نار لتشديد العذاب عليهم، وأهل الجنة يلبسون ثياباً من حرير لزيادة التنعيم لهم، **﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾**، فهم لا يتكلمون إلا بكلام طيب، ولا يسمعون إلا كلاماً طيباً، كما قال تعالى: **﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما * إلا قيلاً سلاماً سلاما ﴾** [الواقعة: ٢٥-٢٦]. **﴿ وهدوا إلى صراط الحميد ﴾**، أي : الطريق الموصل إلى الجنة وما فيها من النعيم العظيم، وفيها يحمدون ربهم ويسبحونه ويمجدونه ويشكرونه على ما أنعم عليهم من النعم التي لا تحصى. ففي هذه الآيات تفصيل لثواب المؤمنين، لترغيبهم في الإيمان وتشجيعهم عليه وإثارة داعي الرجاء عندهم، فيرجون ما عند الله من الثواب العظيم فَيجِدّوا في العمل الصالح، وهذا في مقابل تفصيل عذاب الكافرين، وفي هذه الآيات نجد أن العقاب والثواب جاءا مقترنين مفصلين، وهذا نوع من أساليب القرآن في عرض الثواب والعقاب مغاير لما تقدم في الآيات السابقة.

٧- عقاب من يُرد الإلحاد في المسجد الحرام :

قال تعالى **﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواءً العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾** [الحج: ٢٥] .

لما ذكر الله في الآيات السابقة عقاب وثواب الذين اختصموا في شأن ربهم من الكافرين والمؤمنين، وكان خصامهم في دين الله وصفاته واليوم الآخر والبعث، حتى انتهت الآيات من أول السورة إلى هنا بتقرير قضية العقيدة، وهي أساس الدين - وهذا شأن كثير من سور القرآن - ثم أخذت تفصل فروع الدين ومنها الحج الذي سميت به وهو الركن الخامس من أركان الدين، ويكون

إلى البيت الحرام، الذي أمر الله إبراهيم الخليل ببنائه على التقوى، وتطهيره من الشرك والأصنام للطائفين والقائمين والركع السجود، وهذا البيت العظيم الذي طهره الله وعظمه، وجعل قصده ركناً من أركان الدين،حذر الكفار من صد الناس عنه فقال: ﴿ **إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء** ﴾، فالله تبارك وتعالى توعد الكفار بعقوبة عظيمة على كفرهم وصدهم الناس عن دين الله والمسجد الحرام لمنعهم من الحج إليه، وقد جعله الله للناس مكاناً يجتمعون فيه ويستوون في دخوله، وأداء العبادة فيه لا فرق بين مقيم ووافد إليه، فلا يمنع أحدهما الآخر باعتبار أنه أحق به، فهم فيه سواء[1]، وهو منطقة أمان للمسلمين جميعاً يأمنون فيه، فلا يعتدي بعضهم على بعض، ولا يقتل بعضهم بعضاً، فمن دخله كان آمناً، حتى الطير والحيوان يأمن فيه، فيحرم صيده، ونظراً لحرمة الاعتداء في هذا المكان وتعظيم الأمن فيه؛ ختم الله الآية بالوعيد لمن يرد الإلحاد فيه والتعدي على الناس ظالماً لهم بأن يذيقه من عذاب أليم، والتعبير بلفظ الإذاقة وتنكير عذاب ووصفه بأليم مبالغة في تهويل هذه العقوبة وهي على مجرد إرادة الفعل وإن لم يفعل، فكيف بمن يفعل؟ فإن عقابه أشد من ذلك بكثير؛ تعظيماً لحرمة الحرم، وفي هذه العقوبة تخويف شديد من المعصية والظلم في حرم الله، وقد تأثر الصحابة بهذا التخويف في الآية فروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص" أنه كان له فسطاطان كان أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل"[2].

---

(١) راجع تفسير النيسابوري (٩١/١٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٤١/١٧) وذكره الزمخشري في تفسيره (١٥١/٣).والفسطاط: الخيمة.

فهذه الآية ختمت بالعقوبة على مجرد إرادة فعل المعصية بالحرم وهي مختصرة وجاءت مُنَكّرة مبالغة في التهويل، وهذا نوع آخر من أساليب القرآن في العقاب.

٨- ثواب المخبتين والمحسنين :

قال تعالى: ﴿ **ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ [الحج: ٣٤-٣٥]. وقال تعالى: ﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين**﴾ [الحج: ٣٧].

لما عظم الله في الآيات السابقة شأن البيت الحرام وتوعد الكفار الذين يمنعون الناس من حجه، وتوعد من يرد المعصية والظلم فيه بالعذاب الأليم تعظيماً لحرمته، عقب ذلك بإعلام الناس بالحج إليه ليشهدوا منافع لهم، وأمر بتعظيم شعائر الله، فإن تعظيمها من تقوى القلوب، فكلما كان المؤمن أكثر تقوى كان أكثر تعظيماً لها، والمراد بالشعائر الهدايا التي يهديها الحاج لأهل البيت الحرام من الإبل والبقر والغنم، وقد سن الله لكل أمة أن تتقرب إليه بذبحها، وتذكر اسمه عليها تعظيماً له وشكراً على تسخيرها، والذبح تقرباً إلى الله نوعٌ من العبادة له، ولا يجوز صرفه لغيره، والبشارة هي الإخبار بما يَسر، وقد تستعمل في الإخبار بما يسوء على سبيل التهكم، كما في قوله تعالى: ﴿ **وبشر الذين كفروا بعذاب أليم**﴾ [التوبة: ٣] والمخبتين " المتواضعين من الخبت وهو المكان المطمئن من

الأرض"[1]. وقد وصفهم الله بأربعة أوصاف: ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾، أي: خافت استشعاراً لعظمته، ﴿ **والصابرين على ما أصابهم** ﴾ من المحن والابتلاء، ﴿ **والمقيمي الصلاة** ﴾، المداومين على إقامة الصلاة في أوقاتها كاملة بشرائطها وأركانها وواجباتها، ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾، أي : يتصدقون الصدقة الواجبة كالزكاة والمندوبة، وبهذا جمعوا الكمال في العبادة البدنية والمالية، ولذا استحقوا أن يأمر الله نبيه بأن يبشرهم بهذه البشارة المطلقة الشاملة لسعادة الدنيا بالرضا والطمأنينة، ولسعادة الآخرة بالثواب بالجنة، ثم يبين الله تعالى أن الهدايا المذبوحة لله لن يصل إليه لحومها ولا دماؤها وإنما يصل إليه تقوى المؤمنين وإخلاصهم بامتثال أمره والانقياد والتسليم له، وتكبيره على هدايته لهم إلى هذا الدين العظيم، وفي ختام هذه الآية أمر نبيه بقوله: ﴿**وبشر المحسنين**﴾ أي : بشرهم بالثواب العظيم لإحسانهم في عبادتهم، والإحسان أعلى درجات العبادة كما جاء في حديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ "ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[2]. وإذا وصل المؤمن إلى هذه الدرجة فإنه لا يجرؤ أن يخالف أمراً لله، ولا أن يأتي معصيةً، لأنه يعلم أن الله يراقبه ويراه على كل حال، فلا تخفى عليه خافية.

فيلاحظ أن الآيتين قد ختمتا : الأولى بقوله: ﴿ **وبشر المخبتين** ﴾، والثانية بقوله: ﴿ **وبشر المحسنين** ﴾، والمراد بالبشارة هنا البشارة بالثواب العظيم، وقد جاءت هنا مختصرة ومجملة ومطلقة، ترغيباً وإيثاراً لداعي الرجاء في المؤمن حتى ينشط في العمل الصالح.

---

(١) راجع تفسير الزمخشري (١٥٧/٣).

(٢) رواه البخاري (فتح١١٤/١) كتاب العلم باب ٣٧ برقم (٥٠٩) ومسلم (٣٦/١) كتاب الإيمان باب ١ برقم (١).

٩- عقاب المكذبين للرسل والاعتبار بهم :

قال تعالى: ﴿ **وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود* وقوم إبراهيم وقوم لوط* وأصحاب مدين وكُذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير * فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور * ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون * وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير * قل ياأيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين * فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم* والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم** ﴾ [الحج: ٤٢-٥١].

في هذه الآيات تسليه للرسول ﷺ بأن تكذيب قومه له ليس جديداً في تاريخ البشرية، وإنما سبقه أقوام كثيرة كذّبوا أنبياءهم وآذَوْهم، فصبروا عليهم، وتحملوا أذاهم، فنصرهم الله عليهم بأن أنجاهم وأهلك أقوامهم المكذبين، منهم من أُهلِك بالغرق، ومنهم من أهلك بالريح العاتية، ومنهم من أهلك بالصيحة، ومنهم من أهلك بالخسف. فالله تبارك وتعالى أمهلهم، ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر، فهو يمهل ولا يهمل، والنكير: " بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة، وبالحياة هلاكاً وبالعمارة خراباً "[١]، فالاستفهام في الآية لتعظيم الإنكار والإهلاك (فهي خاوية على عروشها) أي : ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق

(١) تفسير الزمخشري (١٦١/٣).

السقوف[1]، وبئر معطلة لا يُستقَى منها، بعد أن كانت تزدحم بالناس والدواب يستقون منها، وقصر مشيد عالٍ، ولكنه مهجور قد هَلَك أهله، ثم أمر الله بتدبر هذا المشهد بقوله: **﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾** ؟ فالاستفهام في الآية للأمر أي: قل يا محمد لقومك أن يسيروا في أرض الله، فيتتبعوا آثار الأمم المُهلكة الغابرة وهي قريبة منهم، فشمال المدينة مساكن ثمود قوم صالح، وجنوب مكة في حضرموت مساكن عاد قوم هود، فيعتبروا بهؤلاء فتكون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها، **﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾**، فالله تبارك وتعالى لما ذكر هلاك المكذبين، قصد من ذلك تسلية نبيه محمد ﷺ، وترهيب قومه بأن ما حل بغيرهم من الأمم الخالية سيحل بهم إن أصروا على التكذيب والعناد والمعارضة للرسول ﷺ، ولكنهم في أول الدعوة ناصبوه العداء، واستكبروا عليه وكانوا يستعجلون العذاب استبعاداً لوقوعه، وقد رد الله عليهم بقوله: **﴿ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾** فالله لا يخلف وعده، فعذاب الله يأتي في الموعد الذي حدده حسب ما تقتضيه حكمته، والله لا يتعجل العذاب، فهو يمهل الظالمين، ثم يأخذهم بالعذاب، فلله عاقبة الأمور، وإليه مصير الخلائق، ثم أمر الله نبيه بأن ينذر جميع الناس، **﴿ قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ﴾**، فثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يغفر الله لهم ذنوبهم ويرزقهم الجنة، وعاقبة المكذبين الكائدين للإسلام المثبطين لغيرهم أنهم أصحاب الجحيم.

فيلاحظ أن الله تبارك وتعالى قد فصل عقاب الأمم الغابرة المكذبة للاعتبار بهم، ثم ختم الآيات ببيان ثواب المؤمنين المعتبرين بذلك وعقاب الكفار المكذبين

---

(١) تفسير البيضاوي (٢/٩١).

الذين لم يعتبروا على سبيل الاختصار والاقتران، وهذا نوع من أساليب الثواب والعقاب المختصر بعد العقاب المفصل، لإثارة داعي الخوف عند الكفار من التكذيب، وداعي الرجاء عند المؤمنين للتشجيع على العمل الصالح.

١٠- عقاب من يشك في القرآن وثواب من يؤمن به:

قوله تعالى: ﴿ **ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم * الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين** ﴾ [الحج: ٥٥-٥٧].

لما ذكر الله في الآيات السابقة مصارع الأقوام المكذبين لرسلهم للاعتبار بهم وتسلية لرسوله محمد ﷺ، أتبع ذلك بتسلية أخرى له بأن ما حصل له من الكفار من إلقاء الشبه في تلاوته للقرآن لصرف الناس عن دعوته قد حدث لغيره من الأنبياء، والله تبارك وتعالى لا يترك ذلك فإنه يدافع عن نبيه وآياته، فينزل من الآيات المحكمات ما يبطل تلك الشبه التي يثيرونها كما في تحويل القبلة وغيره فيحكم آياته، وهذه الشبه التي تلقى يمتحن الله بها الناس، فالمنافقون والكفار يتأثرون بها، فيضلون ويعيشون في شقاق بعيد، وأما المؤمنون فيؤمنون بما أنزله الله من الآيات المحكمات، فتخضع لها قلوبهم، فيهديهم الله إلى صراط مستقيم، ثم أعقب ذلك بأنه لا يزال الكفار في ضلال وشك من القرآن وما أنزله الله من الآيات المحكمات حتى تأتيهم القيامة، أو يأتيهم عذابها العقيم، حينئذ يتنبهون ويعون حقيقة أمر القرآن، وأنه من عند الله جاء به رسول الله محمد ﷺ فيندمون ويتحسرون، فلا ينفعهم ذلك، وقد وصف الله عذاب يوم القيامة بأنه عقيم، لأنه لا يوم بعده في شدة العذاب، ولا خير فيه، كما قال

تعالى: ﴿ **وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم** ﴾ [الذاريات: ٤١]، التي لا خير فيها لأنها لا تنزل مطراً ولا تلقح زرعاً[1]، وكما تقول لشخص: كلامك أو عملك عقيم ، أي : لا خير فيه، الملك يوم القيامة لله يحكم بينهم، فالذين آمنوا بآياته وعملوا الصالحات يثيبهم بجنات النعيم، يتنعمون فيها نعيماً لا حدود له ولا انقطاع، والذين كفروا وكذبوا بآياته يعاقبهم بعذاب مهين في النار، وتنكير عذاب ووصفه بمهين مبالغة في تهويله، وأنه مذل لهم، وشديد عليهم، كما سبق تفصيله في الآيات السابقة، فمن يهن الله فما له من مكرم. فنلاحظ في هذه الآيات أنه قرن بين الثواب والعقاب في عبارة مختصرة لإثارة داعي الرجاء والخوف عندهم، للابتعاد عن معصية الله والإقبال على طاعته والتزود من عمل الصالحات، وهذا أسلوب من الأساليب البليغة المعجزة التي يستعملها القرآن.

١١- ثواب المهاجرين والعقاب بالمثل :

قال تعالى: ﴿ **والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم * ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور** ﴾ [الحج: ٥٨-٦٠].

تقدم في قوله تعالى: ﴿ **الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ [الحج: ٤٠]، أن المهاجرين أخرجهم الكفار من مكة ظلماً وعدواناً بسبب إيمانهم، وأنهم ضحوا بديارهم وأهليهم وأموالهم وذكرياتهم في سبيل المحافظة على عقيدتهم، والحرية في ممارسة شعائرهم الدينية، ونصرة رسوله ﷺ، فمنهم من قتل في سبيل الله شهيداً ومنهم من مات، وقد وعدهم الله في هذه

---

(١) تفسير الألوسي (١٧/١٧٥).

الآية بأنه يثيبهُم على هجرتهم، وما تحملوا في ذلك من تضحيات في سبيل نصرة دين الله، بأن يدخلهم مدخلاً يرضونه وهو الجنة، وإن الله لعليم بأعمال عباده يجازيهم عليها، حليم على العاصين فلا يعاجلهم بالعقوبة[1]، وكما أن الله يعاقب من بغى على دينه ورسوله، جزاءً له ونصرة للدين، شرع لعباده أن يعاقبوا من تعدى عليهم بمثل ما تعدى به، ووعدهم بأنه ينصرهم، ونَدَبَهَم إلى العفو عمن ظلمهم فقال: ﴿ **وجزاء سيئةٍ سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله**﴾ [الشورى: ٤٠]، ومن أصر على أخذ حقه بالمعاقبة فله ذلك، والله تبارك وتعالى يعفو عنه ويغفر له لتركه الأولى، فيلاحظ في هذه الآيات أن الله أشار إلى ثواب المهاجرين بعبارة مختصرة مجملة، ثواباً لهم على ما قدموا، وتشجيعاً لغيرهم أن يضحوا في سبيل العقيدة بمثل تضحياتهم، كما أنه في الآية الأخرى شرع لعباده عقوبة من ظلمهم بقدر ظلمه، لا يزيدون على ذلك شيئاً، والله ناصرٌ لهم، وهذا الحكم عقوبة للظالمين في الدنيا يجريها على أيدي عباده المؤمنين ويدخل تحت هذا، العقوبات التشريعية الأخرى كالقصاص والحدود، و لم تتطرق السورة إلى تفصيلها وقد بيناها في المبحث الأول.

١٢- عقاب من يعبد غير الله:

قال تعالى: ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير* وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير**﴾ [الحج: ٧١-٧٢].

---

(١) راجع تفسير البيضاوي (٢/٩٤).

لما ذكر في الآيات السابقة من الأدلة على أنه الحق وأنه المالك لما في السماوات والأرض، فهو الغني الحميد، وهو المحي والمميت، وأنه يحكم بين الخلائق يوم القيامة، وهو العالم بما في السماء والأرض، عقب ذلك بذكر موقف الكفار من هذه الأدلة الواضحة البينة أنهم يعبدون من دون الله ما ليس له دليل يقويه، ولا علم يؤيده، فليس لهم نصير ينصرهم من عذاب الله، ومع هذا كله إذا تليت عليهم آياته البينات الدالة على عظمته وقدرته واستحقاقه للعبادة أنكروا ذلك أشد الإنكار، وترى شدة هذا الإنكار بارزة على وجوههم تدفعهم إلى السطو والاعتداء على من يتلو عليهم آيات الله، وهذا شأن كل طاغية مكابر معاند للحق فإنه عاجز عن دفع الحق بالدليل لأن الحق يعلو ولا يُعلَى عليه، والباطل يندحض، فنظراً لعجزه عن مقارعة الحجة بالحجة يلجأ إلى البطش بدعاة الحق وإنزال الأذى الشديد بهم، ولكن الله تبارك وتعالى يمهل ولا يهمل، فقد أعد له أشد العقوبة وهي النار، كما قال في ختام الآية: ﴿ **أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا** ﴾، وقد ذم الله مصيرهم الذي يصيرون إليه بقوله: ﴿ **وبئس المصير** ﴾، فالنار بئس المصير الذي يصير إليه الطغاة، والظلمة الذين يعبدون الآلهة الباطلة، ويتنكرون للحق ويبطشون بمن يدعو إليه، فيلحظ في هذه الآية أنها خُتمت بترهيب المعاندين للحق بعقوبتهم بالنار، وقد جاء في الآية النص على النار وذم المصير إليها، فالعقوبة هنا جاءت مبينة ومختصرة دون تفصيل ولكنها بأسلوب قوي يقابل بطش المعاند بأهل الحق، ويثير الرهبة عنده والخوف من عذاب الله، ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء** ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

١٣- ثواب المؤمنين ورفع الحرج عنهم :

قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير**﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

لما ضرب الله في الآيات السابقة مثلاً لضعف آلهة المشركين وأنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً لهم، ولا تدفع عن نفسها أذىً، وكان هذا المثل المضروب بالذباب وهو أحقر المخلوقات، فهذه الآلهة لا تستطيع أن تخلُقه مجتمعة ولا أن تدفع أذاه، كما قال تعالى: ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**﴾، فالله تبارك وتعالى هو القوي العزيز السميع البصير الذي ترجع إليه جميع الأمور، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وقد اختار رسلاً من الملائكة ورسلاً من الناس يبلغون رسالته ويدعون الناس إلى عبادته وحده، بعد هذا يأمر بالقيام بتكاليف العبادة بقوله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا**﴾، وفي هذا أمرٌ بالصلاة، وقد خص الركوع والسجود منها لأنهما أعظم أركانها[١]، ثم عطف على ذلك الأمر بعبادته، وهذا عام في جميع

---

(١) تفسير ابن عاشور (١٧/٣٤٦).

العبادات، وقد أُفردت الصلاة بالذكر في الأمر الأول تشريفاً لها ولأنها ركن الدين، ثم عطف عليها الأمر بفعل الخير وهذا أعم مما قبله فإنه يشمل جميع فعل الخيرات من العبادة، وصلة الأرحام، وحسن التعامل مع الناس.

وقد ختم الآية بالإشارة إلى ثواب امتثال هذه الأوامر بقوله: ﴿ **لعلكم تفلحون**﴾، أي راجين الفلاح وهو الفوز بثواب الله بالسعادة في الدنيا والسعادة في الآخرة بدخول الجنة، وفي هذا إشارة إلى الثواب بعبارة مجملة مختصرة وهذا أسلوب من أساليب القرآن المعجزة المتنوعة في الحث على عبادة الله وفعل الخيرات.

وفي آخر هذه الآية موضع سجدة عند الشافعي وأحمد، وخالف ذلك أبو حنيفة ومالك وقالوا: لا تعتبر سجدة لأن السجود في القرآن إذا اقترن بالركوع فهو سجود الصلاة[١]، والراجح أنها موضع سجدة[٢]. لما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما " أن رسول الله أقرأني خمس عشرة سجدة في القرآن : منها ثلاث في المفصل ، وفي سورة الحج سجدتان "[٣].

بهذا تكون قد انتهت الآيات التي ذكر فيها الثواب والعقاب، ثم ختم الله السورة بالحث على الجهاد، وأنه اختار هذه الأمة ورفع عنها الحرج، ويسر لها أمور الدين، وسماها بالمسلمين، وفضلها بالشهادة على الأمم، فعليها أن تشكر الله على هذه النعم التي اختصها بها، فتداوم على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله، فهو مولانا وناصرنا، ﴿ **فنعم المولى ونعم النصير** ﴾.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٥/٥٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٩٨) وابن كثير (٥/٤٠٥).

(٣) سبق تخريجه .

نتائج دراسة الثواب والعقاب في السورة :

مما تقدم اتضح لنا أن الثواب والعقاب الواردان في سورة الحج قد جاءا فيها بأساليب مختلفة من الانفراد والاقتران وبغيرهما، مع ملاحظة أن أكثر آيات القرآن جاء فيها الثواب والعقاب مقترنين.ويمكن تلخيص ذلك في النقاط التالية:

١- **العقاب المفصل بعد إجمال**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت**﴾ [١-٢]. فقوله: ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾، إجمال فصل بقوله: ﴿ **يوم ترونها** ﴾، وقد سبق تفصيله في المثال رقم (١).

٢- **العقاب المختصر**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد * كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير** ﴾ [٣-٤]. وقوله: ﴿ **ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** ﴾ [٩]. وقوله تعالى: ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ [٢٥]. وقوله: ﴿ **قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير**﴾ [٧٢].

فنلاحظ النص على النار باسمها في الآية الأخيرة، وباسم السعير والحريق في الآية الأولى والثانية، وبالإشارة إلى عذابها منكراً ووصفه بأليم مبالغة في تهويله في الآية الثالثة، وجميع العقاب في هذه الآيات جاء مختصراً وقوياً يتناسب مع جرم من تُوعد به وراجع التفصيل في الأمثلة (٢، ٧، ١٢).

٣- **الثواب المختصر**: ويدل عليه قوله: ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد** ﴾ [١٤]. وقد سبق تفصيله كما في المثال رقم (٤).

٤- **الإشارة إلى العقاب والثواب بعبارة مجملة بدون نص**: ويدل عليه قوله: ﴿**خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** ﴾ [١١]. وقوله تعالى: ﴿**وبشر المخبتين** ﴾ [٣٤]. وقوله تعالى: ﴿ **وبشر المحسنين** ﴾ [٣٧]. وقوله: ﴿**ليدخلنهم مدخلاً يرضونه** ﴾ [٥٩]. وقوله: ﴿**لعلكم تفلحون** ﴾ [٧٧]. فنلاحظ في هذه الآيات الخمس أنه لم ينص على الثواب والعقاب بجنة أو نار، وإنما ورد بلفظ مجمل يدل على العقاب بالنار والثواب بالجنة لمن ذُكر في هذه الآيات، لإثارة داعي الرجاء والخوف للعمل الصالح وتجنب المعاصي، كما سبق تفصيله في الأمثلة رقم (٣، ٨، ١١، ١٣).

٥- **النص على العقاب والدلالة على الثواب**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء**﴾ [١٨]. فهذه الآية نصت على عقاب من لم يسجد لله عبادة، كما في قوله: ﴿**وكثير حق عليه العذاب** ﴾، ودلت على إهانته كما دلت على ثواب من سجد لله عبادة، كما في قوله: ﴿**وكثير من الناس** ﴾، على تقدير خبر محذوف " يثاب على سجوده " وقد سبق تفصيله كما في المثال رقم (٥).

٦- **تفصيل العقاب والثواب مقترنين**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم** ﴾، إلى قوله: ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا**

الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ [١٩-٢٤]. فهذه الآيات كما يلاحظ جاء فيها العقاب مفصلاً، ثم جاء بعده الثواب مفصلاً، وفي هذا التفصيل تهويل للعقاب وتشويق للثواب، لإثارة داعي الخوف والرجاء عند الإنسان حتى يعمل الصالحات ويتجنب المعاصي وهو مناسب للمقام ومتناسق في سياق الكلام، يدرك هذا من قرأ الآيات بتدبر وتأمل، وقد سبق بيانه في المثال رقم (٦).

٧- **اختصار الثواب والعقاب مقترنين:** ويدل عليه قوله تعالى: **﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم﴾** [٤٩-٥١].

فيلاحظ أن الله تبارك وتعالى ذكر في الآيات السابقة إهلاكه للمكذبين بالرسل من الأمم الغابرة تسلية للرسول ﷺ وعبرة لقومه، ثم أعقبه بثواب المعتبرين وعقاب من لم يعتبر بألفاظ مختصرة تناسب المقام وتثير الخوف والرجاء عند المخاطبين حتى يعتبروا كما في المثال رقم (٩). ومثلُ هذا قوله: **﴿ الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا لهم عذاب مهين﴾** [٥٦-٥٧]. إلا أن الثواب والعقاب هنا لم يُسبق بعقاب مفصل كما في المثال السابق، راجع تفصيله في المثال رقم (١٠)، وأكثر الثواب والعقاب في القرآن الكريم جاءا مقترنين على سبيل الاختصار أو التفصيل.

٨- **تشريع العقوبة على الاعتداء:** كما في قوله تعالى: ﴿ **ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله** ﴾ [٦٠]. في هذه الآية سمى الله الاعتداء عقوبة من باب المشاكلة اللفظية، وهذا من أساليب القرآن البديعة، وقد شرع الله معاقبة المعتدي بمثل اعتدائه من غير زيادة، ففي هذه الآية تشريع العقوبة للمؤمنين بأن يعاقبوا من اعتدى عليهم، وهذا نوع من العقاب للظالم المعتدي يجريه الله على يد عباده الصالحين، راجع التفصيل في المثال (١١).

الخـــاتمـــــة :

مما تقدم اتضح لنا منهج القرآن في الثواب والعقاب المبني على ما فُطرت عليه النفس من الرجاء والخوف، وكيف أن الإسلام وازن بين هاتين الغريزتين بما يضبط سلوك الإنسان واعتداله، وترغيبه في فعل الخير بالثواب عليه وتحذيره من فعل الشر بالعقاب عليه، ويجب أن نستفيد من هذا المنهج الرباني في جميع شؤون حياتنا ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- **تربية الأولاد بالثواب والعقاب:** يجب علينا أن نستفيد من منهج القرآن في الثواب والعقاب في تربية أولادنا، بأن نرغبهم في الخير ونشجعهم عليه ونعدهم بما يحصل لهم من رضا الله والسعادة في الدنيا والآخرة ودخول الجنة والخلود فيها، وهذا أعلى ما يطمح إليه المؤمن، كذلك لا ننسى أيضاً أن نشجعهم بالهدايا وكلمات الشكر والثناء عليهم، فإن هذا مما يحفزهم على حسن السلوك، والعمل بالجد والنشاط، والنجاح في الدراسة والعمل، وكذا لا ننسى الجانب الآخر وهو تحذيرهم من المعصية والكسل والإهمال وتخويفهم بما يترتب عليه من العقاب من غضب الله عليهم وشقائهم في الدنيا والآخرة ودخولهم النار، ونتدرج معهم في ذلك بالتحذير ثم التهديد، وقد نضطر إلى استعمال الضرب الخفيف الذي يُؤدب ولا يُؤذي، ويُخوف ولا يُنَفر. قال الله تعالى: ﴿**واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً**﴾ [النساء: ٣٤]. وقال الرسول ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع "[(١)].

---

(١) رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (١/١٣٣) كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة برقم (٤٩٥) واللفظ له، والترمذي عن سُبرة الجهني (٢/٢٥٩) برقم (٤٠٧) وقال : حديث سُبرة حسن صحيح وعليه العمل عند بعض أهل العلم، والدارمي (١/١٣٣).

٢- **تربية الطلاب بالثواب والعقاب:** ويستعمل هذا المنهج التربوي أيضاً الأستاذ مع طلابه، فيشجعهم على السلوك الحسن، والعمل الصالح، والقول الطيب، والاجتهاد في الدراسة والنجاح، بالثواب على أعمالهم وبالجوائز السنية والرتب العالية والمكافآت، ويحذرهم من السلوك السيئ والكلام القبيح والإهمال الدراسي بالعقاب وما يترتب على ذلك من الضياع وعدم الحصول على العمل.

٣- **تربية الموظفين بالثواب والعقاب:** ويستعمل هذا الأسلوب التربوي المدير في إدارته، فيشجع موظفيه على إتقان العمل وإتمامه والتنافس فيه والسلوك الحسن بما يكتبه من خطابات الشكر التي تؤدي إلى ترقيتهم وحصولهم على العلاوات والرتب الكبيرة، كما يخوفهم من الإهمال والتكاسل في العمل والسلوك السيئ مع المراجعين والزملاء وما يترتب عليه من وقف العلاوات والتجميد في الرتبة والتأديب بالنقل إلى مكان ناءٍ أو بالفصل من الوظيفة، فهذا المنهج من الترغيب والترهيب يضبط سلوك الموظف ويشجع على الإنجاز والإنتاج والارتقاء بعمله ولو عاملناه بأسلوب الترغيب فقط لتكاسل وأهمل في عمله ، ولو عاملناه بأسلوب الترهيب فقط لأصيب بالإحباط وخيبة الأمل، فلا تستقيم حالة الإنسان إلا بهذين الأسلوبين فيحصل له التوازن والاعتدال في سلوكياته وتعامله مع الناس وجميع شؤون حياته.

وفي الختام أسأل الله أن ينفعنا بهذا البحث، وأن يحبب إلينا الإيمان ويزينه في قلوبنا، ويكره إلينا الكفر والعصيان، إنه سميع مجيب. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع :

١- **أحكام القرآن**، الجصاص (ت: ٣٧٠هـ)، ٥ مجلدات تحقيق الصادق قمحاوي ، الناشر دار المصحف، عبدالرحمن محمد القاهرة.

٢- **أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع** ، بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي / الناشر جامعة الإمام ، ١٤٠٤هـ.

٣- **أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع**، لمحمد حسين الذهبي، ط١،١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٤- **أثر تطبيق الحدود في المجتمع**، من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام بالرياض ، ١٣٩٦هـ .

٥- **أسباب النزول**، للواحدي (ت: ٤٦٨هـ)تحقيق السيد صقر، طبع دار الكتاب الجديد، لجنة إحياء التراث ، القاهرة،ط١، ١٣٨٩هـ .

٦- **بهجة قلوب إلابرار**، للشيخ السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) الناشر المؤسسة السعيدية بالرياض.

٧- **الترغيب والترهيب**، للمنذري (٥٨١ - ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد خليل هراس، ٤ أجزاء، طبع دار إلاتحاد العربي بمصر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٨- **التشريع الجنائي الإسلامي**، عبد القادر عودة ، دار التراث العربي ، القاهرة، ١٩٧٧م.

٩- **تفسير الطبري** (ت: ٣١٠هـ)،"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ٣٠ جزءاً، طبع مصطفى الحلبي بمصر، ط٣، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٠- **تفسير الزمخشري** (ت: ٥٣٨هـ)، "تفسير الكشاف" رتبه: مصطفى حسين أحمد، طبع المكتبة التجارية ، القاهرة.

١١- **تفسير ابن عطية** (ت: ٥٤٢هـ)، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ١٥ جزءاً، تحقيق: الرحالي الفاروق وآخرين، مؤسسة دار العلوم بالدوحة قطر، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.

١٢- **تفسير القرطبي** (ت: ٦٧١هـ) "الجامع لأحكام القرآن"٢٠جزءاً، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

١٣- **تفسير النيسابوري** (ت: ٧٢٨هـ)،"غرائب القرآن ورغائب الفرقان" تحقيق: إبراهيم عوض، طبع مطبعة الحلبي ، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١٤- **تفسير ابن كثير** (٧٠٠ - ٧٧٤هـ)،"تفسير القرآن العظيم" تحقيق: سامي ابن محمد السلامة، طبع: دار طيبة للنشر بالرياض، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٥- **تفسير البيضاوي** (ت: ٧٩١هـ)، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٦- **تفسير السيوطي** (٨٤٩ – ٩١١هـ)، "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" ٦ مجلدات، الناشر محمد أمين ، بيروت.

١٧- **تفسير أبي السعود** (ت: ٦٥١هـ)،"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"، طبع عبد الرحمن محمد بمصر.

١٨- **تفسير الشوكاني** (ت: ١٢٥٠هـ)،"فتح القدير"، ٥ مجلدات، طبع مطبعة الحلبي بالقاهرة، ط٢، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

١٩- **تفسير الألوسي** (ت: ١٢٧٠هـ)، "روح المعاني"، المنيرية ، مصر، ط٢.

٢٠- **تفسير ابن عاشور** (ت: ١٣٩٣هـ)،"التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٢١- **تهذيب اللغة**، للأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ١٣٨٤/١٩٦٤م.

٢٢- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، لابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، ١٣جزءاً، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٢٣- **رياض الصالحين**، للإمام النووي (ت: ٦٧٦هـ)، طبع: دار المأمون للتراث، ١٤٠٢هـ.

٢٤- **زاد المستقنع في اختصار المقنع** (ت: ٩٦٠هـ)، لشرف الدين أبو النجا، المطبعة السلفية ، القاهرة، ط٧، ١٣٨٥هـ.

٢٥- **سنن أبي داود** (٢٠٢ – ٢٧٥هـ)، ٤ أجزاء، طبع مصطفى الحلبي ، مصر، ط١، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

٢٦- **سنن الترمذي** (٢٠٩ – ٢٩٧هـ)، ٥ أجزاء، ط١، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٢٧- **سنن النسائي** (٢١٤ – ٣٠٣هـ)، ٨ أجزاء، طبع مصطفى الحلبي – مصر، ط ١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

٢٨- **سنن ابن ماجه** (٢٠٧ – ٢٧٥هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، جزءان، طبع عيسى الحلبي وشركاه.

٢٩- **سنن الدارمي** (ت: ٢٥٥هـ)، جزءان، دار إحياء السنة النبوية ، بيروت.

٣٠- **صحيح البخاري** (ت: ٢٥٦هـ) وشرحه فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ).

٣١- **صحيح مسلم** (٢٠٦ – ٢٦١هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ٥ أجزاء، طبع عيسى الحلبي ، مصر، ط١، ١٣٧٥/١٩٥٥م.

٣٢- **العقوبة في الفقه الإسلامي**، أحمد فتحي بهنسي، طبع دار الرائد.

٣٣- **العقوبة، الإمام محمد أبو زهرة**، دار الفكر العربي ، القاهرة.

٣٤- **الفكر الإداري الإسلامي**، د/ حمدي أمين عبد الهادي، دار الفكر العربي ط ٢ / ١٩٧٥م

٣٥- **فلسفة العقوبة في الشريعة والقانون**، د. فكري أحمد عكاز، طبع عكاظ للنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٣٦- **في ظلال القرآن**، سيد قطب (ت:١٣٨٧هـ)، ٧ أجزاء، طبع دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٩٦١م.
٣٧- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، للعز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ.
٣٨- **لسان العرب**، لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١هـ)، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة.
٣٩- **المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح**، للدمياطي (ت: ٧٠٥هـ)، تحقيق : الشيخ عبد الملك الدهيش، طبع دار خضر ، بيروت، ط١١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٤٠- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٤١- **مسند الإمام أحمد** (١٦٤ - ٢٤١هـ)، ستة أجزاء، طبع الحلبي.
٤٢- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، رتبه: لفيف من المستشرقين، نشره: الدكتور أ.ى. ونسنك، ٧ مجلدات كبار، طبعة مكتبة بريل بمدينة لندن، ١٩٣٦م.
٤٣- **المغني**، لابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ)، تحقيق: معالي الدكتور عبد الله التركي والدكتور عبد الفتاح الحلو، طبع مطابع هجر ، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
٤٤- **معجم ألفاظ القرآن الكريم** ، ط٢ مجمع اللغة العربية بالقاهرة / الهيئة المصرية العامة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٤٥- **المفردات في غريب القرآن**، الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، أعده للنشر: د.محمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية.

٤٦- **منهج التربية الإسلامية**، محمد قطب، دار الشروق، ط٢.

٤٧- **منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبو داود** (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرحمن البنا، مطبعة المنيرية بالأزهر، جزآن، ط١، ١٣٧٢هـ.

٤٨- **الموسوعة الفقهية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، طبع دار الصفوة ، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

٤٩- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للبقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، طبع دار ابن تيمية ، القاهرة ط١، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٥٠- **النهاية**، لابن الأثير (٥٤٤ - ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، ٥ مجلدات، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، باكستان.